

# إيران : حين سرقت أعلام شعبها وصدّرت ثورتها



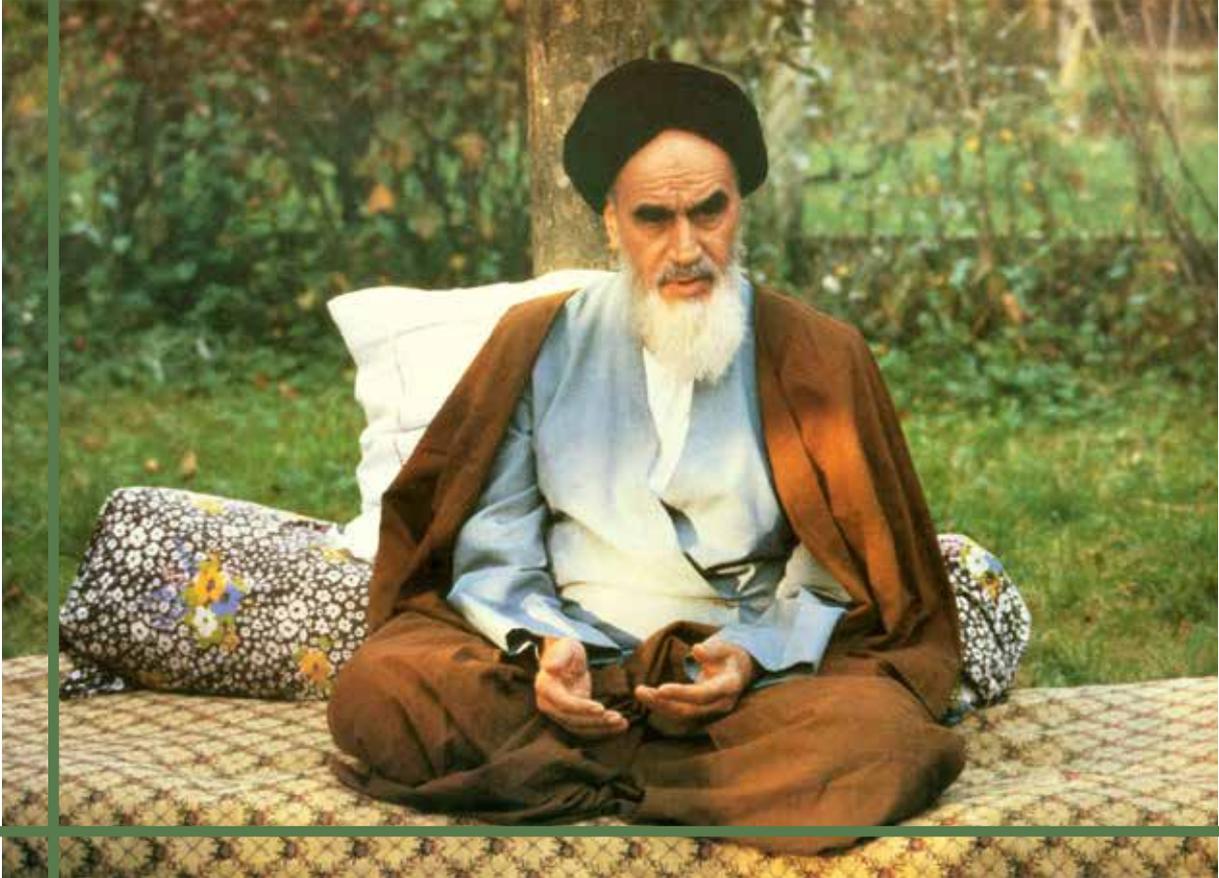
الكتاب المشاركون:

- \* كريم شفيق
- \* عاصف الخالدي
- \* ماهر فرغلي
- \* خالد بشير
- \* سامح اسماعيل
- \* أحمد سالم
- \* عمر الرداد



كريم شفيق  
كاتب مصري

# «ولاية الفقيه».. حين انقلب الخميني على الفقه السياسي الشيعي



والحكم، بشقيه؛ السياسي والديني، وكذا،  
الدرس الحوزوي، الفقهي والفلسفي، في  
مدينتي «قم» و«مشهد» بطهران.

## التيارات السياسية والدينية ما قبل الخمينية

يبد أنّ تاريخ التيارات الدينية  
والسياسية في إيران، يحفل بوجود أفكار  
أخرى ومغايرة، ما تزال تحتفظ بحقها في

في ظل مركزية نظرية ولاية الفقيه،  
التي أسس لها آية الله الخميني، داخل  
النظام الإيراني، وبنية عقله السياسي،  
عام ١٩٧٩، بعد أن جعلها العمود الفقري  
الذي ينتصب عليه مجمل الفقه السياسي  
الشيعي وفكره، فقد أضحت منذ ذلك  
التاريخ، ونشوء الجمهورية الإسلامية،  
المرجعية الشمولية والكلية التي تستحوذ  
بصورة رسمية، على مؤسسات الدولة

# «من بين تلك التيارات التي تتخذ موقفاً ضدّ ولاية الفقيه: التيار الإخباري والشيرازي والانتظاري؛ لكنّ سياسة الدولة قامت باضطهاد شيوخهم وأئمتهم»

ترى في وجود ولاية الفقيه أمراً شرفياً،  
وتحصر مهمتها في الإشراف على القوانين،  
بدون التّغول في السلطة، والتماهي فيها.

## تصفية المعارضة وتأميم الصراع

وبحسب ما جاء في كتاب «تاريخ  
إيران الحديثة»؛ ففي خضم الصراع  
والجدل المحتمل بين الإمام شريعتمداري  
والخميني حول مضمون الحكم في  
إيران، والمرجعية التي ينهل منها الأخير  
سلطته، بعد أن دمج بين ثنائية «الفقيه  
والسلطان»؛ فقد صرح شريعتمداري بأنّ:  
«حكومة الشعب هي السلطة التي يقر بها  
الإسلام، والديكتاتورية تعيد البلاد إلى عهد  
النظام الطاغوتي السابق، وأنّ ولاية الفقيه  
تسلب الناس صلاحياتهم واختياراتهم، كما  
تناقض كل الأصول التي تعطي الناس حقّ  
الانتخاب، لذلك، لا بدّ من إصلاحه ورفع  
هذا الإشكال».

جرى اعتقال الإمام شريعتمداري،  
عام ١٩٨٢، بتهمة تدبير انقلاب على  
الثورة، ووضع تحت الإقامة الجبرية، حتى  
مات بعدها بأعوام، إثر مرض ألمّ به،  
ودُفن ليلاً، في ظروف صعبة؛ حيث مُنع

التعبير عن تأويلاتها في الدين والسياسة،  
خاصة، فيما يتصل بالحالة الشيعية،  
وواقعها الاجتماعي؛ لكنّها همّشت، بفعل  
الوثبة التي حققها الخميني بعد ثورته،  
ونبذه لتلك المرجعيات، وتعسفه ضدها،  
حيث كانت تختلف في رؤيتها وأهدافها مع  
نظرية ولاية الفقيه.

وإثر ذلك؛ لم يمنحها المساحة  
الكافية نفسها في مؤسسات النظام  
الجديد، رغم رصيدها التاريخي المهم،  
وجماهيريتها، التي لا يستهان بها.

ومن بين تلك التيارات التي  
تتخذ موقفاً ضد ولاية الفقيه: التيار  
الإخباري، والشيرازي، والانتظاري؛ لكن  
سياسة الدولة قامت باضطهاد شيوخهم  
وأئمتهم، وملاحقتهم، في فترة ما بعد  
الثورة، لحجب أي صوت من تلك المراجع  
الفقيهية، ينافس أطروحات الخمينية أو  
يعارضها؛ فقد قام الخميني بالتخلص من  
نفوذ تلك المرجعيات الدينية؛ مثل الإمام  
شريعتمداري، الذي عارض نظرية ولاية  
الفقيه بقراءتها الخمينية، وطالب بعودة  
الدولة الدستورية البرلمانية، والأخيرة كانت



الإمام شريعتمداري عارض نظرية ولاية الفقيه بقراءتها الخمينية

الصيداد في كتابه «التيارات السياسية والدينية في إيران»، بل يمتد بجذوره إلى الأئمة المعصومين، وهو، حتى اللحظة الراهنة، يعدّ مظلة دينية للشيععة في إيران وخارجها؛ فهو بمثابة التيار الأم، الذي تجتمع وتتلاقى عنده كثير من الأفكار المشتركة، وذلك منذ أن تم إحياءه في القرن الحادي عشر الهجري، على يد ملا محمد أمين الأسترابادي؛ إذ تبنت تلك المدرسة نبذ العمل السياسي، ورفض النظرية السياسية، بصورة تامة، وعدم خلط الدين والفقه بأي عمل حركي ونشاط مدني.

### مرجعيات ضد «ولاية الفقيه»

وقد رأى الإخباريون؛ أنّ العمل السياسي وإقامة الدولة والحكومة، وفق

كلّ تلامذته من حضور جنازته، حسبما ذكر رضا الصدري في كتابه «في سجن ولاية الفقيه».

تمكّن الخميني من مأسسة الساحة الفقهية الحوزوية، وتأميم الصراع داخلها، عبر عمليات الإقصاء والضغط المتواصلين، لكلّ المعارضين والمخالفين له، حتى تلاشت الأسماء المهمة والمؤثرة، في المجالات الدينية والعلمية والفلسفية، حديثاً وقديماً؛ مثل عبدالكريم سروش، وأصبحت الحوزة مجرد صوت رسمي مؤيد للنظام.

يعدّ التيار الإخباري من التيارات المهمة في عالم التشيع، كما يذكر السيد

# « يرى أحمد الكاتب أن التيار الإخباري رغم نفوذه القوي وتأثيراته القوية في الحوزة لم يسع إلى السلطة في أية لحظة تاريخية »

هو ما صدر عن الأئمة فقط، وأن دور الفقهاء هو «الإخبار» بما قاله الإمام، وليس تقديم أيّ اجتهاد فقهي، وبالتالي، اعتبروا الاجتهاد انتهاكاً لحقوق الأئمة».

ومن ثم، ليس لأحد، بمن في ذلك الفقهاء، الحق في أن ينوب عن الأئمة في اختصاصاتهم. وبالتالي، يظل الوضع الراهن قائماً إلى حين عودة الإمام، مع ضرورة تخليص الفقه من شوائب الاجتهاد العقلي، والالتزام بالفقه الذي يقصر الإمامة على الأئمة المعصومين؛ أي أن يكون الفقيه مجرد مخبر لأحاديث الرسول، من جهة، والأئمة المعصومين، من جهة أخرى.

## « عصر الغيبة » ومعضلة الحكم

ويلفت أستاذ العلوم السياسية، إلى أنّ هذا التيار ظهر تالياً لظهور تيار ولاية الفقيه، وكان من بين رموزه المهمين؛ الميرزا محمد أمين الاسترابادي، والشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، وجميعهم وضعوا تحت قبضة الخمينية واضطهادها، سواء بالاعتقال أو الإقامة الجبرية، فضلاً عن ملاحقة وإعدام تلاميذهم والمنتتمين لهم.

التأويل الخميني، عبر تأييد نظرية ولاية الفقيه، يعد افتتاتاً على المعتقد الشيعي (الأصولي) والتقليدي، الذي يؤمن بعدم وجوب ذلك الأمر في ظل ما يعرف بـ «عصر الغيبة»، أي غياب الأئمة المعصومين؛ لذا، فإنّ أيّة حكومة تنشأ في ظلّ هذه الظروف تعدّ «اغتصاباً لحقّ وصلاحيات المعصوم»، بحسب ما تشير أدبياتهم.

وفي هذه الحالة؛ يجيب أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، الدكتور محمد السيد سليم، المتخصص في العلاقات الدولية، عن ماهية وأصول نظام ولاية الفقيه، في دراسته، عن جذور الفكر السياسي الشيعي، بأنه «مع طول غيبة الإمام، دأب الفكر الشيعي في طرح عدة تساؤلات مثيرة وملحة، حول ما إذا كان هناك من يشغل ذلك الفراغ الذي نجم عن الغيبة، بشكل مؤقت، بحيث يقوم (نائب) ببعض وظائف الإمام».

واستدرك بأنّ «ذلك التساؤل بعث بانقسام في الفكر الشيعي، وانشطر إلى تيارين؛ أولهما إخباري، والثاني أصولي؛ حيث تألف التيار الأول، ممن أطلق عليهم اسم «الإخباريين» الذين اعتبروا أن الفقه

# « قام الخميني بالتخلص من نفوذ المرجعيات الدينية لحجب أي صوت منها ينافس أطروحات الخمينية أو يعارضها »

غياب الإمام؛ إذ تضع الإخبارية وجود الإمام المعصوم شرطاً أساسياً للحكم والاعتراف بإسلامية الدولة».

وكان شيعة شبه الجزيرة العربية، أول من انحاز إلى الخط الإخباري، كما يشير محمد الصياد، في كتابه «فقه الانتظار»، بيد أن تدخل الدولة الإيرانية ونفوذها الأيديولوجي الذي تروّج له عبر منصات المتعددة؛ جعل ذلك التيار يخفت، وتلاشى مناهجه، خصوصاً بعد الحملات الممنهجة والمتعسفة ضده.

## «شورى الفقهاء» وفصل الديني عن

### السياسي

إذاً، تعدّ نظرية ولاية الفقيه في الفقه السياسي الشيعي، فكرة مستحدثة وجديدة؛ إذ لم يبدأ الفكر الشيعي في الحديث عن الدور السياسي للفقيه إلا مع تأسيس الدولة الصفوية، عندما استعانت الدولة بالفقهاء بغية نشر المذهب الشيعي الإمامي، بينما عد ذلك الأمر، بمثابة خروج على النظرية التقليدية للإمامة، كما «أدّت إلى تطور انقلابي، في الفكر الشيعي الإثني عشري»، بحسب وصف الصياد.

بيد أنّ التيار الثاني، وهو التيار الأصولي، يرى أنّه «في غيبة الإمام يحلّ الفقيه محله، لكن دور الفقيه ينبغي أن يقتصر على المسائل الدينية، ورعاية أحوال الأتباع؛ من خلال الفتوى، والقضاء، وإقامة الشعائر، ومباشرة الأوقاف، دون الدخول في معترك السياسة، إلا في حدود ضيقة ومحددة، كالتأكد من مطابقة القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية للشريعة الإسلامية».

ومن جهته، يذكر المفكر المتخصص في الشأن الإيراني، أحمد الكاتب، في بحثه حول تطور الفكر السياسي الشيعي؛ أنّ التيار الإخباري، رغم نفوذه القوي وتأثيراته القوية في الحوزة، لم يسع أو يطمح إلى السلطة في أيّة لحظة تاريخية، وهذا الأمر لا يعدّ أمراً ثانوياً وهامشياً لديهم، إنما يدخل في صلب هويتهم العقائدية، وثوابتها، معتبرين أنّ غيبة الإمام المعصوم ستظل «حائلاً دون حصول العدالة الاجتماعية، ولذلك ليس من حقّ أحد المشاركة في الحياة السياسية، والانخراط في السياسة، بمعناها الواسع؛ أي حكم الشعب، وإقامة الدولة والحكومة، وإصدار التشريعات والأحكام، في ظلّ



تعدّ نظرية ولاية الفقيه في الفقه السياسي الشيعي، فكرة مستحدثة وجديدة

الأسباب، مما أثار غضب الشيرازيين لدرجة أنهم هددوا بتنظيم مظاهرات مسلحة أمام مقر السفارة الإيرانية في بغداد، والقنصليتين الإيرانيتين في مدينتي النجف وكربلاء، كما هددوا بحرقها في حال تمّ إيذاؤه، أو لم يتم الإفراج عنه خلال ٢٤ ساعة، وهددوا بحرب مفتوحة واستهداف المصالح الإيرانية في دول العالم، وهو ما اضطرها للإفراج عنه.

### تأكل الأطروحة الخمينية

وبسؤال الباحث المصري، محمد السيد، حول أدوار النظام الإيراني لتأميم المجتمع، وتنميط صورته وفرض هوية شمولية عليه؛ يوضح أنّه «بعد نجاح الثورة الإسلامية، عام ١٩٧٩، بدأت السلطات

وإلى ذلك؛ فإنّ الصراع ما يزال ممتدّاً وراسخاً مع العديد من تلك التيارات المعارضة، التي تتصدى للدولة الإسلامية في إيران؛ إذ قامت السلطة الإيرانية، بفرض الإقامة الجبرية على مؤسس التيار الشيرازي، محمد مهدي الشيرازي، إثر طرح نظريته «شورى الفقهاء»، ومعارضته لسياسة الخميني، واستهدفت العديد من المنتمين لذلك التيار، وقد قامت باعتقال ابن المرجع الشيرازي الأكبر محمد رضا، وتعذيبه في سجون طهران، إلى أن مات داخل السجن، العام ٢٠٠٨.

وفي عام ٢٠١٣؛ اعتقلت محكمة رجال الدين المرجع الديني، حسين الشيرازي، ابن المرجع صادق الشيرازي، دون ذكر



بعد نجاح الثورة فرضت السلطات الإيرانية نمطها وتصورها الأيدولوجي على المجتمع

ويضيف لـ«حفريات»: «مع خفوت الهاجس الثوري، ونجاح الثورة في القضاء على معارضيها، وانتهاء الحرب العراقية-الإيرانية، وسقوط الشيوعية بانهيار الاتحاد السوفييتي، تغير الواقع الإيراني القديم، وفقد خطابه الثوري التقليدي، كثيراً من عناصر قوته وتأثيره؛ حيث ظهرت أجيال جديدة لم تشهد الزخم الثوري، من مواليد عقدي الثمانينات والتسعينات، تأثرت بالتطور التقني والمعلوماتي، وقفزات التنمية، التي شهدها العالم، نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، ونشأ معها بداية تفكير العقل الإيراني في الواقع المأزوم الذي وصلت إليه الدولة».

الإيرانية في فرض نمطها وتصورها السياسي والأيدولوجي على المجتمع، واستعملت أدوات كثيرة لقلوبته بصبغة جديدة، مثل: أسلمة العلوم والمعارف كطريق لأسلمة المجتمع، وكانت تلك الأسلمة مدروسة وممنهجة؛ حيث اتخذت شكل مشروعات كبرى في الإعلام والإذاعة والتلفزيون، والجامعات والمناهج التعليمية، وكان القصد من وراء هذه العمليات الممنهجة؛ هو تخليق هوية جديدة ودائمة للمجتمع، وربطه بنظرية ولاية الفقيه المطلقة، وترسيخ أفكار ومبادئ الثورة، لذا، اعتقد قادة الثورة والنخبة الحاكمة الإيرانية، أن بإمكان تلك العمليات الممنهجة أن تدوم وتستمر، وتكفل مجتمعاً متناغماً، ومتجانساً، بهوية واحدة وهموم واحدة.

كل فترة، بيد أنّ تلك الأصوات ظلت على هامش الدرس الفقهي المعتمد؛ أي إنّ تدين السياسة ومذهبتها، كان في الهامش لا في المركز».

فإنّ أولئك الأعداء الذين كانت تضخمهم أجهزة الدولة، أحياناً، لحشد المجتمع واستثارة الفكر الثوري، صاروا غير موجودين، ومن ثم بدأ المجتمع في النظر إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية، بصورة مختلفة، عن فترة ما بعد الثورة مباشرة، ولم يعد يجدي نفعاً معهم صناعة عدو داخلي أو خارجي، بحسب السيد، لأنّه «عدوّ لم يرَ الشعب الإيراني منه ضرراً مباشراً، كذلك الضرر الذي يواجهه في الحياة اليومية، بفعل الإخفاق السلطوي، وانتشار جماعات المصالح، ويؤر الفساد».

ومن هنا، بدأت تراكمياً مرحلة تلاشي مبادئ الثورة، وتآكل الفكر الثوري، والفقهاء الولائي، الذي يمكن تسميته بـ«تآكل الأطروحة الخمينية»، كما يصفها الباحث المصري محمد السيد، ما نجم عنها صعود موجة علمانية ذات شقين؛ شقّ حوزوي، نابع من الحوزة ومتأصل فيها، وشقّ حدائي تعريبي، متأثر بالثقافة والقيم الغربية، وقد ساهم النظام السياسي في صعود العلمانيين، بطريق غير مباشر.

ويختتم السيد: «مسألة فصل الديني عن السياسي، ظلّ معتمداً حوزوياً، حتى قبل تكون العلمانية في مظاهرها الحديثة، واستمر هذا الوضع في الحوزة، من دون أن تشغل بأمور السياسة، حتى بعد تشكلها، بصورتها الراهنة؛ كمؤسسة دينية ترعى شؤون الشيعة في العالم، وبينما ظهرت أصوات تطالب بولاية الفقيه جزئياً أو كلياً،



عاصف الخالدي  
كاتب أردني

# بين مصدق والخميني.. كيف خان الملاي ثورة الإيرانيين مرتين؟



لمعظم مطالب التيارات الشعبية التي  
أنجحتها.

## ثورة مبكرة

شهد القرن التاسع عشر اكتشاف  
النفط في دول عربية وآسيوية عديدة،  
كانت من بينها إيران، العام ١٩٠٨، إلا أنّ  
الوصول إلى الذهب الأسود في أعماق أراضي  
هذا البلد، ترافق مع احتكارات استعمارية  
غربية هيمنت على تقنيات استخراجها، فقد

تمثّل المرحلة الفاصلة بين ثورة  
الإيراني، محمد مصدق في الخمسينيات،  
والثورة الإيرانية العام ١٩٧٩، مثلاً كبيراً  
على مفارقات التاريخ، وعلى الكيفية التي  
سُرقت فيها ثورة الشعب الإيراني مرتين،  
وكان المشترك الدور الذي لعبته الحوزات  
عندما اصطفت في الأولى ضد الرجل الذي  
أراد أن يعتق بلاده من الهيمنة الخارجية،  
وتفرّدها بالسلطة في الثانية بعد تنحية  
معظم المشاركين فيها وقمعهم، والتنكّر

## «أقر البرلمان الإيراني العام ١٩٥١ مطالبات تأميم شركات النفط مما أشعل شهرة مصدق»

والأربعينيات من وعي فكري وشعبي بخصوص خيرات إيران المنهوبة»، بحسب ما تقوله الدكتورة وداد غازي، أستاذة التاريخ في الجامعة المستنصرية في العراق، ضمن دراسة لها بعنوان «تأميم النفط الإيراني وتداعياته على العلاقات الدولية».

وترى غازي، في دراستها، أنّ «وجود الشاه محمد رضا بهلوي في الحكم بعد الحرب العالمية الثانية، مدعوماً من أمريكا وبريطانيا، أبقى المجال لحماية الهيمنة البريطانية وسيطرتها على النفط»، وهذا ما بقيت عليه الحال حتى العام ١٩٥١.

«تأسست شركة النفط البريطانية الإيرانية مبكراً، تحت اسم شركة النفط الأنجلو-فارسية، وكانت تنهب نفط إيران فعلياً»، وفق دراسة لعلي رضا غولشاني، بعنوان «تاريخ النفط الإيراني»، العام ٢٠١٦؛ حيث ملكت بريطانيا ٥١٪ من أسهم تلك الشركة، وازداد تحكّمها بالنفط الإيراني خلال الحرب العالمية الأولى.

سمحت مرحلة الحرب العالمية الثانية لبريطانيا بـ«الاستمرار في السيطرة المحففة على معظم النفط وإيراداته في جنوب إيران، رغم ما شهدته الثلاثينيات



قاد محمد مصدق أول ثورة وأدها الشاه بدعم أمريكا ورجال الحوزات



القضاء على التنوع الشعبي الثوري كان هدفه سيطرة «دينية» على السلطة

وبالعودة إلى العام ١٩٥١؛ أقرّ البرلمان الإيراني قراراً يطالب بتأميم شركات النفط الإيرانية، مما «أشعل شهرة مصدق في أنحاء إيران، وأجبر الشاه على تعيينه رئيساً للوزراء خلال ذلك الوقت»، بحسب المصدر ذاته. وبقي مصدق يخوض صراعاً مريراً كاد ينتهي بنجاح ثورته الاقتصادية الأساس والمدعومة شعبياً ضدّ الشاه.

في تلك المرحلة، كان الالتفاف الشعبي حول مصدق، والتيارات الشعبية عموماً، التي لا تعي أي تأثير طائفي أو ديني كبير، كان من شأنه تقسيمها إلى درجةٍ تسمح بفشل المجتمع في التخلص من الآثار الاستعمارية والانشغال بمعارك طائفية، لكنّ هذه النقطة كانت انطلاقة الشاه في محاولاته إسقاط مصدق وإثارة السخط الشعبي تجاهه، وذلك باستغلال «الخلاف

لكن ثورة مبكرة، بدأت تلقي بظلالها على إيران، بعد صعود محمد مصدق، الذي أتى من قلب النخبة الإيرانية الحاكمة، وكان مصدق (١٨٨٠-١٩٦٧) الحاصل على شهادة دكتوراة في الحقوق، مناضلاً قومياً قياساً بوضع إيران الداخلي القائم على نوع من التبعية السياسية لأمريكا وبريطانيا آنذاك، وبعد حياة سياسية متقلبة «عُيّن خلالها وزيراً للاقتصاد وعضواً في البرلمان، ومناصب أخرى، ظلّ خلال أربعينيات القرن العشرين يكتسب قوة سياسية كبيرة، بفضل دعوته لتأميم النفط الإيراني ومواجهته العلنية لبريطانيا، وحتى للاتحاد السوفيتي، الذي كان يريد أخذ امتيازات نفطية على أرض إيران بدوره» وفق مقالة عن مصدق، نشرت في العدد ٤٧٧ من «مجلة العربي» في العام ١٩٩٨.

# « نار مصدق مطالباً بتأميم النفط وبالاستقلال فواجهته أمريكا وبريطانيا والشاه برجال الحوزات »

حتى وفاته، العام ١٩٦٧، ومن ثم عودة الشاه محمد رضا بهلوي بقوة إلى الحكم.

## نار تحت الرماد

تمّ وأد ثورة مصدق والشعب، وتوجد أسبابٌ عديدة داخلية أسهمت في ذلك، منها الحصار الاقتصادي الذي فرضه الغرب على إيران ونفطها حينها، لإخضاع مصدق، لكن الشعب الإيراني، ظلّ يحلم بقدر يكفي من الاستقلال لبناء المستقبل، واستمرّ شاه إيران بقمعه الشديد للداخل، وتبعيته للخارج.

ومنذ سقوط تلك الثورة، العام ١٩٥٣، وحتى العام ١٩٧٨، شهدت إيران تطوراتٍ مختلفة، من أهمها: ظهور «الجبهة الوطنية المعارضة التي قاومت نظام الشاه بقدراتها البسيطة، وبقيت وفيّةً لأفكار مصدق القومية والتحررية، وظهرت تجمعاتٌ يسارية شبه حزبية، وأخرى حزبية، كحزب توده الشيوعي، ووصلت قوى اليسار حدّ حمل السلاح ضدّ الشاه، وواجهت قمعاً شديداً من جهاز مخابراته السافاك»، بحسب كتاب «الثورة البائسة» لمؤلفه عباس الموسوي.

بين مصدق وآية الله كاشاني، الذي كان أحد قادة الحوزة الشيعية في قم آنذاك؛ حيث أطلق كاشاني تصريحات ضدّ مصدق، اتهمه فيها بالخيانة وانتهاك الدستور وعدم طاعة الشاه، كما أصدر مجموعة من رجال الدين الإيرانيين فتوى بأنّ مصدق معاد للإسلام والشريعة، بسبب تحالفه مع كتل اليسار والليبراليين»، وفق تقرير نشرته «العربية»، في ٢٠ حزيران (يونيو) ٢٠١٧.

وشكّل ذلك الاختبار الأول لتسييس الدين في المجال العام في إيران، وإضفاء طابع شيعي على صورة القائد والحكومة حتى تكون على حقّ، مع تجاهل المسلمين السنّة والأكراد والأرمن وغيرهم ممّن هم إيرانيون، وباقي أفراد الشعب الذين آمنوا بأفكار مصدق الوطنية الشاملة.

العام ١٩٥٣؛ شهد انقلاباً دبرّته أمريكا وبريطانيا ضدّ مصدق، فيما عرف باسم «عملية أجاكس» بحسب المصدر ذاته، ومن ثمّ إحالة إيران للفوضى، وكَيْل التهم لمصدق، منها أنّه شيوعي وخائن وغيرها، واستخدمت استخبارات البلدين في العملية عناصر «البلطجية والمجرمين» لإشغال الفوضى، التي انتهت بعزل هذا الرجل الوطني ووضعه في الإقامة الجبرية

## «قمع الخمينيون كل التيارات الشعبية والحزبية التي شاركتم الثورة على الشاه»

الشاه، خصوصاً خارج العاصمة والمدن الكبرى، مما أسهم في سهولة سيطرة التيار الديني على فئات شعبية واسعة ديموغرافياً وسياسياً، بوصف خطابها مضاداً لخطاب الشاه الاقتصادي والتحرري بشكلٍ عام».

اقرأ أيضاً: ما بعد الخمينية... ما الذي يفعله الإصلاحيون في إيران؟ لكن السبب الآخر؛ هو أنّ قدرة الإسلامويين الشيعة التنظيمية والاجتماعية كانت أبرز؛ فهم أقلّ من تعرضوا للقمع خلال فترة الشاه، وكانوا وفق حقيقتات «قادرين على التحرك والتجمّع، بعد أن اشتعلت فوضى الثورة، كانوا الفئة الوحيدة التي تهدف للاستيلاء على الحكم، فيما كانت أهداف الحركات الأخرى؛ التخلص من دكتاتورية الشاه والنهوض بإيران»، وباختلاف الأهداف، وصل الملاي إلى ما يهدفون إليه.

حتى اليوم تحمل شوارع بطهران اسم آية الله كاشاني الذي خان ثورة الشعب الأولى زمن مصدق

ويذكر المؤلف؛ أنهم قمعوا الإثنيات العرقية قبل كل شيء، ليثبتوا ثورةً (إسلامية شيعية المذهب) فقط، وقمعوا لاحقاً «أية توجّهات ديمقراطية قومية، أو يسارية، أو

ويشير الموسوي إلى أنّ تلك الحركات، لم تشمل أحزاباً أو تجمعاتٍ سياسية يسارية وقومية فقط، بل وجماعات أخرى، من أهمها «الفلاحون الإيرانيون الذين وقفوا ضدّ مصادرة بيوتهم وأراضيهم من قبل نظام الشاه، خصوصاً في ضواحي طهران، وكذلك الأدباء والمفكرون والشعراء وأنصار حركة علي شريعتي للإصلاح الديني، ومن تبعهم من ليبراليين وإصلاحيين»، وفئات مختلفة من الشعب، لم يكن يوجد أيّ خطاب عنصري أو طائفي ضدها، جميع هؤلاء أسهموا في النضال خلال تلك الفترة ضدّ الشاه.

ويرى الموسوي؛ أنّ الغليان الشعبي استمرّ إلى أن انضم، في نهاية السبعينيات، رجال الدين والحوزات بوضوح إلى الحركة النضالية، ومن ثم اتخذوا الخميني قائداً لهم، وكانوا حركة ضمن الحركات، إلا أنّ كيفية استيلائهم على الثورة، إن صحّ التعبير، يرجع إلى عوامل عديدة، بعضها ظل غامضاً.

لكن، بالنسبة إلى الكاتب المختص بالشؤون الإيرانية، شابور حقيقتات؛ فإنّه يحاول توضيح هذا الغموض في كتابه «إيران، من الشاه إلى آيات الله»، بقوله: إنّ «المجتمع الإيراني عانى من فقر وبطالة ونقص خدمات وتعليم، خلال حكم



الخميني من الطائرة إلى كرسي الحكم، أما الثورة فألى القمع

مصدق، وبقيت الشوارع تتشابك في طهران منذ ذلك الحين، وهي تحمل ذكرى ثورتين قتيلتين.

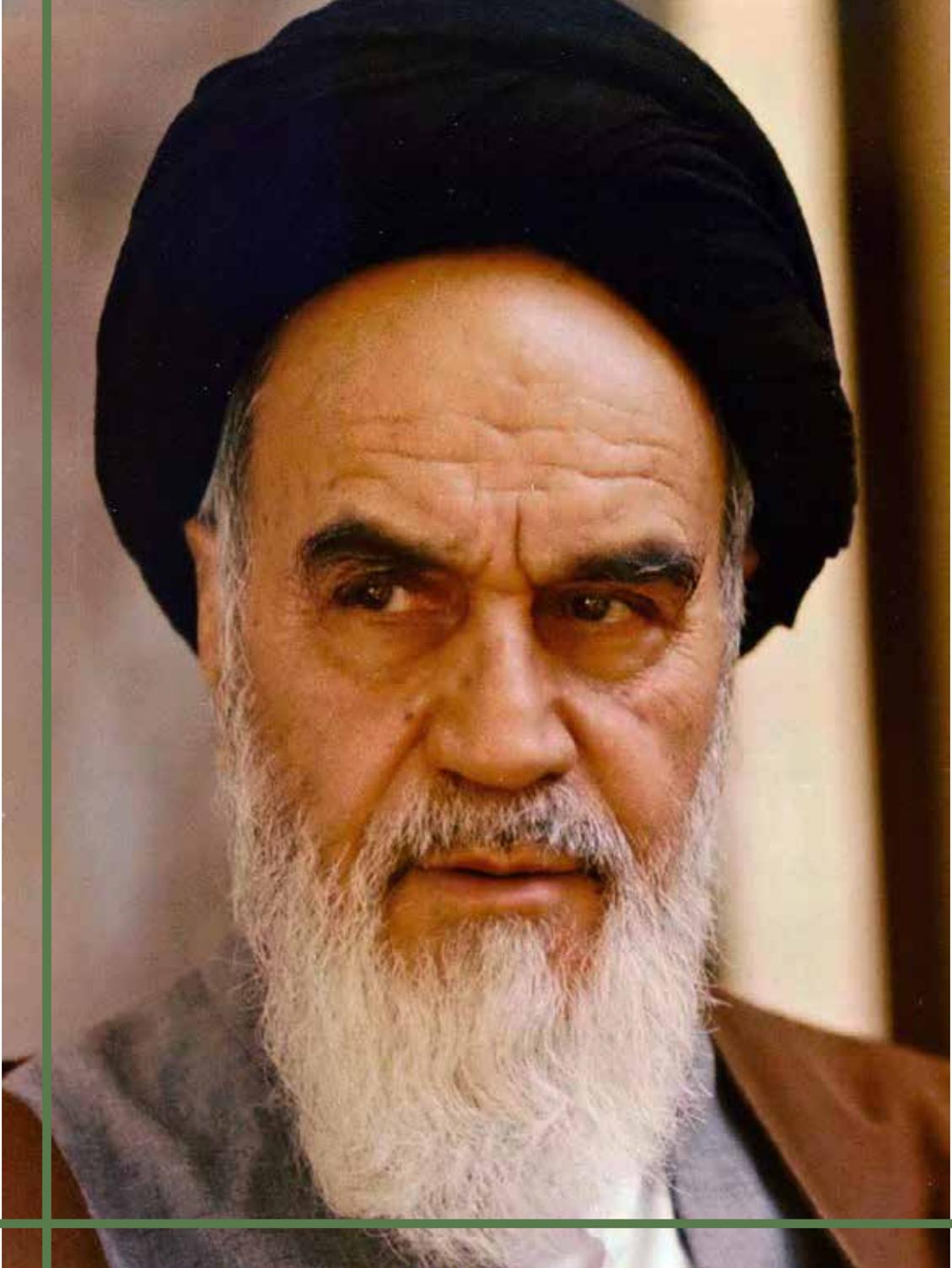
ليبرالية، من أجل ما أسموه دولة إسلامية قوية»، حتى الجسم الديني في إيران تمّ قمعه وتوجيهه ليتماشى مع السلطة وحدها ولا شيء آخر.

الثورة الإيرانية الثانية، تمّ الغدر بها أيضاً، ممن أوصلتهم إلى السلطة وكان يفترض أن يحموا مبادئها في الحرية والعدالة والتي لا تختلف عما طالب به مصدق من قبل؛ إذ تمّت تنحية معظم المشاركين في الثورة، وقمع العديد من التيارات الشعبية التي أنجحتها، ولأنّ التوجه كان نحو السلطة في الأساس، وليس نحو التحرر أو التقدم أو التعددية والديموقراطية، ولا حتى نحو مجتمع إسلامي متقدم يحمل روح الإسلام ومعها روح العصر، وحتى اليوم، توجد شوارع في طهران، تحمل اسم آية الله كاشاني، الذي خان ثورة الشعب الأولى زمن



عاصف الخالدي  
كاتب أردني

# كيف سرقت عمامة الخميني أحلام الإيرانيين؟



## «لم يشارك الملاي في أي انتفاضة ضد الشاه قبل ١٩٧٩ وكانوا يتدخلون لحماية مصالحهم الخاصة وأراضيهم فقط»

من ناحيته، يؤكد الباحث الإيراني شابور حقيقات، في دراسة له عن الثورة الإيرانية، أنه «منذ سقوط الحكومة الإصلاحية الوطنية لمحمد مصدق في العام ١٩٥٣، سعت سلطة الشاه لتكثير الأقواه، وتقويض المؤسسات الديمقراطية في إيران، كما جمعت سلطات القضاء والحياة الحزبية في قبضتها».

وبحلول العام ١٩٦٣، قام الشاه بمناورة من أجل التخفيف من حدة الاعتراضات الشعبية على سياساته، فأنجز ما سمي في حينه «الثورة البيضاء»، من أجل ما وصفه بالإصلاح الاجتماعي، ومرة أخرى لم يتجاوز رأي رجال الدين في إصلاحات الشاه مصالحهم «حيث اعترض رجال الدين على إعادة توزيع الأراضي بعدالة؛ لأنهم كانوا يملكون أكثر من ثلثها أصلاً»، في مناطق واسعة من إيران، بحسب الدراسة ذاتها، وحملت عنوان «إيران: من الشاه إلى آيات الله».

ورغم أن توزيع الأراضي كان أفضل ما قام به الشاه آنذاك، إلا أن رجال الدين الشيعة اعتبروا عمله هذا «تدميراً للمجتمع التقليدي» الذي يحصلون فيه

«سجاجيد الصلاة تحت أرجل المصلين كانت تحمل اسم الشاه، لكنهم ذات يوم حملوا مسدساتٍ كتب عليها اسم الله، وثاروا ضد الشاه»، هكذا يلخص الكاتب السوري زهير مارديني، الثورة الإيرانية، مشيراً إلى الطابع (الديني) الذي أخذته الثورة رغم مشاركة فئاتٍ شعبيةٍ فيها منذ البداية، كالأكراد وأهل الأحواز واليساريين وغيرهم، غير أن الثورة تحولت إلى مشنقةٍ لهؤلاء فيما بعد، ولم ينفع التخلص من دكتاتورية الشاه في منع الثورة من إنتاج دكتاتورها الخاص وملايها.

### إعادة صناعة الاستبداد

وفقاً لكتاب مارديني «الثورة الإيرانية بين الواقع والأسطورة»، الصادر عن دار «أقرأ» العام ١٩٨٦، فإن الإصلاح كان أكثر الكلمات الدارجة على لسان الجميع، بما فيهم الشاه محمد رضا بهلوي؛ الذي كانت بلاده تعاني من مشاكل خارجية متعلقة بعقود النفط وأسعاره غير العادلة، إضافةً إلى جهاز أمنه المرعب في الداخل (السافاك)، الذي كان يقوم بقمع المواطنين والمثقفين والطلاب بصورةٍ دائمة، لمطالبتهم بإصلاحاتٍ اقتصادية وديمقراطية.



لَوْح الخميني للشعب بيدٍ وقمع أحلامهم باليد الأخرى

فوق رأسها، في شكلٍ أتج دكتاتوراً جديداً، هو (آية الله الخميني).

### جمهورية الله

لم يكن الخميني ضد تحرير النساء فقط، ولا ضد الموسيقى وحدها أيضاً، لكن الرجل الذي يصوره النظام الإيراني كل مرةٍ على أنه ثوريٍّ مخلص، قال في إحدى المقابلات التلفزيونية له «لم آت في الأصل لمواجهة نظام الشاه، بل جئت من أجل إقامة جمهورية الله الإسلامية» بحسب ما كتبه شابور في دراسته المذكورة آنفاً.

وبهذا، أسقط الخميني مباشرة هذا التحالف الوطني الكبير، من ليبراليين وسنة وشيعة ويساريين وأكراد وغيرهم، لصالح خطابه المصلحي، المحمي بقُدسية

على حظوتهم ومصالحهم دون نقاش.

وباندلاع احتجاجات العام ١٩٧٧ في إيران، «كان رجال الدين غير فاعلين، وتركزت مهمتهم فقط في شيطنة أي تحركٍ لقوى اليسار، وبالقول إنَّ هناك مؤامرة شيوعية تحيق بإيران»، وهو خطابٌ ربما يكون السافاك صاحبه أصلاً، وفقاً لقول شابور.

ولا يحمل (الملاي) أي تاريخٍ حقيقيٍّ في مواجهة جهاز السافاك وسياسات الشاه عبر سنوات حكمه، إلا فيما يمثل مصالحهم كما يبدو، ويرى الباحث نفسه، أن «رجال الدين بقوا متفرجين خلال اندلاع الثورة الإيرانية»، وأن كل ما فعلوه في النهاية كان وضع عباءةٍ على جسد الثورة وعمامة

# «عدم وجود تاريخ للديمقراطية سهل على الخميني وأنصاره من رجال الدين استخدام القمع والقتل»

رجاله لإعدام واعتقال عشرات الآلاف من كوادره وأتباعه وإعدام قاداته التاريخيين بعد تعذيبهم وإذلالهم بالظهور على شاشة التلفزيون للاعتراف أنهم كانوا عملاء للسوفييت وأنهم ارتكبوا جرائم لا تُغتفر ضد الخميني، بل وضد الإسلام».

أما على الصعيد الاجتماعي، فلم يسلم المثقفون والفنانون والنساء من القمع، كما أنّ «الحركات الفدائية» كما يصفها شابور، التي قامت في مدن إيرانية عديدة ضد الشاه، تعرّض أفرادها إلى الاعتقال والإعدام بكل بساطة.

وضمن تقرير موسع لموقع قناة «الغد» في كانون الثاني (يناير) ٢٠١٧، يتجاوز عدد عمليات الاغتيال والإعدام بلا محاكمة في الشوارع، إضافة إلى مطاردة المعارضين على سياسات الخميني وقتلهم خارج إيران؛ ٣٠٠٠ حالة.

## مؤالة «الشیطان الأكبر»

تتوالى الدلائل التي تكشف كم التآمر على الشعب الإيراني وثورته من قبل آيات الله وأعوانهم؛ ففي وثائق لجهاز المخابرات الأمريكي «سي أي إيه»، نشرها موقع «بي بي

الله؛ هذه الخطوة، شكّلت قفزة عن مقومات وأطراف الثورة، وجلبت مقصلة (روبسيير) سريعاً إلى شوارع إيران. الشعب الإيراني بتنوع أعراقه ودياناته وقواه السياسية، قابل قرارات الخميني بالرفض عموماً، لكن عدم وجود تاريخ للديمقراطية ومؤسساتها في طهران، سهل على الخميني وأنصاره من رجال الحوزات الدينية في إيران، استخدام القمع والقتل أيضاً.

وتمثل هذا جلياً، بعد تعيين «مهدي بارزكان» رئيساً لحكومة الثورة التي باتت مقدسة على يد الخميني، فبدأت مسيرة الإصلاح «بإعدام مئات المسؤولين السابقين والقادة العسكريين والمدنيين في حكومة الشاه المخلوع».

ويذكر موقع «الاشتراكي» في دراسة موسعة عن الثورة الإيرانية، نشرت في العام ٢٠٠٩، أنّ «الأحزاب اليسارية كحزب توده الشيوعي، والقوى الشعبية المطالبة بالحقوق الاقتصادية والإنسانية، أخطأت بتحالفها مع الخميني ورجال الدين على أساس أنه عدو للإمبريالية»؛ ذلك أنّ الخميني فيما بعد «حظر الحزب ووجه

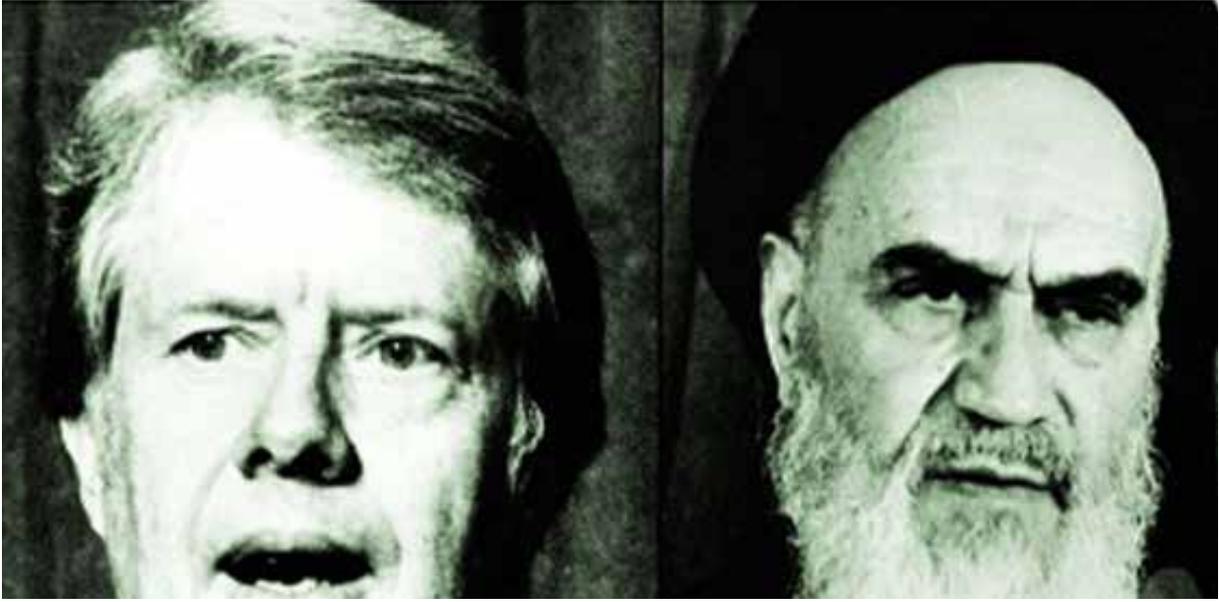


منذ ١٩٧٩ أصبح إعدام المعارضين والوطنيين مشهداً متكرراً في إيران

ولم يكتفِ الخميني بهذا، بل وحسب الوثائق «قدم عرضاً للرئيس الأمريكي آنذاك جيمي كارتر، فحواه: أنه يأخذ القادة العسكريين الإيرانيين بنصيحة الأمريكيين، بينما يتبع الشعب الإيراني أوامر الخميني. وهكذا يمكن لرئيس أمريكا أن يستخدم نفوذه على الجيش الإيراني لتسهيل الانقلاب، بينما يتولى الخميني تأمين المصالح الأمريكية».

سي فارسي» بتاريخ ٣ حزيران (يونيو) ٢٠١٦، جاء أن «الخميني أرسل رسالة إلى الحكومة الأمريكية، من خلال ميرزا خليل جامرائي، وهو أستاذ في كلية الدين بجامعة طهران، وناشط سياسي مقرب من الإسلاميين، يقول فيها إنه لن يعارض المصالح الأمريكية في طهران، بل على العكس، عبّر عن اعتقاده بأن الوجود الأمريكي، ضروري لإحداث توازن ضد الاتحاد السوفياتي».

**«قمع الخميني كل من شارك بالثورة من غير رجال الدين وقتل خلال عامين أكثر من ٢٠٠٠ ثوري ومعارض»**



تخطيط مشترك للثورة بين الخميني و(الشیطان الأكبر) أمريكا

شعبها، وتسجن المثقفين والناشطين، إضافةً إلى نسبة أحكام الإعدام المرتفعة، دون أن يحظى الشعب الإيراني بأي اعترافٍ من نظامه الحاكم وأجهزته وملايئه، بأن الثورة من الأساس، لم تكن سوى ضد الشعب وحرّيته ومستقبله، مما يضع إيران في دائرة الضوء، بعد الاضطرابات الحالية، بانتظار انفجارٍ شعبيٍّ محتملٍ في الفترة القادمة.

وتضيف الوثائق، أنّه في الفترة السابقة للثورة «نجح الرئيس الأمريكي كارتر في إقناع الشاه محمد رضا بهلوي بالذهاب في إجازة، بينما بقي في إيران جيشٌ من ٤٠٠ ألف جندي يعتمد على نصائح أمريكا».

الثورة التي أراد لها الخميني إقامة «جمهورية الله» بحسب قوله في ذلك الحين، ووفق الدراسات المذكورة آنفاً، عملت من خلاله على «أسلمة التعليم» شيعياً، و«تغيير القوانين» لمصلحة رجال الدين الشيعة مع استبعاد الأقليات، كما إنّها أعادت دمج العديد «من ضباط السافاك أصحاب الكفاءة في ممارسة القمع» ضمن أجهزتها، أما الاقتصاد والديمقراطية، وهما السببان الرئيسيان لثورة الشعب الإيراني، فلم يظهر إلى العلن حتى اليوم.

واليوم، ما تزال التقارير الدولية تضع إيران في المرتبة الأولى، كدولة تقمع



ماهر فرغلي  
كاتب مصري

# هذه خريطة ميليشيات إيران في سوريا



## ميليشيات عربية وأجنبية والهدف واحد

شكّلت إيران أنواعاً من القوات الموجودة الآن بسوريا، أولاً قوات عسكرية غير عربية، منها: (لواء فاطميون) - وفق ما ورد في دراسة محمد السلمي، التي نشرتها جامعة أم القرى تحت عنوان (إيران وعسكرة التشيع في الداخل والخارج) - وهو لواء عسكري مكون من الأفغان الفارين إلى إيران من الهزارة (وهم مجموعة من الأقلية العرقية الأفغانية).

استغلت إيران الثورة السورية، والاحتجاجات الشعبية العام ٢٠١١ ضد نظام بشار الأسد، وانتقلت من الدعم العسكري واللوجستي، إلى تشكيل ميليشيات موالية لها بذريعة حماية المقدسات الشيعية، كمقام السيدة زينب ومقام السيدة سَكينة جنوبي العاصمة السورية دمشق، وهي تلك الميليشيات التي لم تقلّ ضراوة عن تنظيم القاعدة وداعش، التي ساهمت في تخريب وتدمير المدن السورية.

## «إيران قاعدة عسكرية في حرم مطار دمشق الدولي يتركز فيها عناصر وقيادات الحرس الثوري»

وفي محيط مقام السيدة رقية في دمشق القديمة، وخاصة منطقة حي الشاغور.

وشكّلت طهران ما يسمى (لواء أبو الفضل العباس) وهو تشكيل عسكري من مقاتلين عراقيين، تحت قيادة ماهر عجيب جطة الملقب أبو عجيب (وهو من بلدة نبل في ريف حلب).

ووفق ما كشفته دراسة للشبكة السورية لحقوق الإنسان استعانت إيران بـ(كتائب حزب الله العراقي) الذي أرسل حوالي (٧ آلاف مقاتل) إلى سوريا العام ٢٠١٣ بقيادة هاشم الحمداني (أبو آلاء)، وفق ما ورد في الدراسة التي نشرها موقع على بصيرة بعنوان (استثمار إيران في جماعات الغلو والتطرف).

كما دفعت (حركة النجباء العراقية) إلى إرسال مقاتليها لسوريا في عدة مناطق أهمها ريف حلب ودمشق، بلدي نبل والزهراء في ريف حلب، وكذلك (عصائب أهل الحق العراقية) في ريف دمشق والبوكمال.

وقاتل ما يسمى (فيلق الوعد الصادق) بأوامر إيرانية في سوريا، وهو ميليشيا عراقية يترأسها محمد حمزة التميمي الملقب أبو علي النجفي، وقوامه قرابة

تأسس «فاطميون» العام ٢٠١٤ تحت قيادة اللواء علي رضا توسلي الذي قُتل في درعا بالمعارك الدائرة ضد فصائل المعارضة في ٢٠١٥، ويبلغ أعداد المقاتلين به قرابة ٣٠٠٠ مقاتل، ومقره الرئيسي في مدينة مشد الإيرانية، أما في سوريا فاتخذ من منطقة السيدة زينب قرب العاصمة مركزاً له.

ونشر معهد دول الخليج العربية في واشنطن أنّ اللواء الثاني هو (لواء زينبيون)، الذي يتألف من الباكستانيين الشيعة البشتون، تأسس على يد محمد جنتي الملقب الحاج حيدر، وهو باكستاني الأصل قُتل في حماة أثناء قتاله ضد فصائل المعارضة، ويتركز انتشاره في دمشق والضواحي القريبة منها، ويبلغ عدد المنضوين تحته قرابة ١٠٠٠ مقاتل، وكلهم تدربوا على يد الحرس الثوري الإيراني.

أما القوات العربية، فأهمها: حزب الله اللبناني، الذي كان يجنّد شباباً لبنانيين في كل من حارة حريك جنوبي بيروت، وفي بعلبك والنبطية، ويرسلهم تحت قيادته للقتال بسوريا مقابل مبالغ مالية.

وتركزت قوات حزب الله في لبنان في منطقة السيدة زينب جنوبي دمشق،

# «تركزت قوات حزب الله في لبنان في منطقة السيدة زينب جنوبي دمشق وفي محيط مقام السيدة رقية»

ولواء القدس الفلسطيني وهو تشكيل عسكري من الفلسطينيين المقيمين في سوريا، وخاصة مقيمي مخيم باب النيرب في حلب، أسسه المهندس محمد السعيد عام ٢٠١٣ بدعم من إيران ومقره الرئيسي مخيم باب النيرب، وله معسكرات تدريب في مخيم حندرات والشيخ نجار والملاح في ريف حلب.

## تشكيلات المتطوعين

لم تتوقف إيران عند الحد السابق، بل سعت إلى صناعة تشكيلات متطوعين (شيعية وسنية ودرزية وعلوية وغيرها)، عبر التمويل الضخم الذي يأتي منها، إضافة لتمويل ذاتي من رجال أعمال سوريين، أو تهريب النفط، وغيرها من أساليب التمويل الذاتي.

مثال على ذلك ميليشيات القاطرجي، التي أسسها رجل الأعمال حسام أحمد قاطرجي (صاحب مجموعة قاطرجي للتجارة والنقل وعدة شركات زراعية وعقارية)، الذي جند عناصر من دير الزور، وقوات الدفاع الوطني (اللجان الشعبية)، وهي تشكيلات عسكرية تتمركز في مراكز المحافظات، وتتلقى دعماً من قوات النظام، ومرتبطة مباشرة مع فيلق القدس الإيراني وتشاركه بعملياته العسكرية ضد فصائل المعارضة.

ألفي عنصر بين العراق وسوريا، ومقره الرئيسي بغداد والفرعي ريف دمشق.

كما قاتلت ميليشيا (سرايا طلائع الخرساني) وهي تشكيل عراقي تأسس العام ١٩٨٤ يترأسه علي الياسري، يبلغ عدد مقاتليها قرابة ٥ آلاف مقاتل ما بين العراق وسوريا، ومن أهم مهامها حماية مطار دمشق الدولي.

وكلف الحرس الثوري الإيراني ميليشيا (الشهيد محمد باقر الصدر) وهي تشكيل عراقي، بمؤازرة عناصر الأمن العام ووزارة الداخلية التابعتين للنظام السوري.

ونشر (موقع إيران وير) أنّ الحرس الثوري الإيراني أرسل بتكليف منه عدداً آخر من الميليشيات العراقية للقتال إلى جانب النظام السوري، وهم (لواء الامام الحسين) يترأسه أمجد البهادلي، و(لواء ذو الفقار) بقيادة أبو شهد الجبوري، و(لواء عمار بن ياسر)، و(لواء أسد الله الغالب)، و(سرايا عاشوراء)، و(جيش المؤمل) و(لواء اليوم الموعود)، و(لواء بقية الله)، و(لواء صعدة اليميني)، وهو تشكيل من المقاتلين الحوثيين، يبلغ عددهم قرابة ٧٥٠ مقاتلاً،

وتدعم إيران كتيبة الزهراء، وكتيبة العباس، وكتيبة شهيد المحراب، وحزب الله السوري، وهو تشكيل عسكري من عدة ميليشيات سورية (كانت تسمى اللجان الشعبية واللجان الوطنية انتشرت في سوريا منذ عام ٢٠١٣) قاتل إلى جانب قوات النظام السوري.

وتوجد بعض الألوية الأخرى في درعا وجنوب سوريا منها: لواء العرين، وهو تشكيل عسكري من أبناء درعا مقره الرئيسي بحي الكاشف، ولواء درع الوطن، ومجموعة خالد الحشيش، ومجموعة أبو سالم، ومجموعة هيثم أبو سعيقان، ومجموعة مجد الملوحي.

ومن أجل تقديم إيران دعمها اللوجستي أنشأت إيران قاعدة عسكرية في حرم مطار دمشق الدولي، يتركز عناصر وقيادات الحرس الثوري فيها، وقاعدة عزان، وتقع بالقرب من جبل عزان في ريف حلب الجنوبي، ويسيطر عليها حزب الله وحركة النجباء العراقية.

كما أنشأت قاعدة الإمام علي جنوبي مدينة البوكمال في ريف دير الزور الشرقي بالقرب من الحدود السورية العراقية، وهي عبارة عن مستودعات تحت الأرض تكاد لا تكون ظاهرة تتخفى بالطبيعة الصحراوية، ويسيطر عليها حزب الله العراقي.

وكذلك مؤلت إيران (قوات النمر) التي يبلغ عدد قواتها قرابة ٨ آلاف مقاتل من مرتزقة سوريين بقيادة العميد سهيل النمر، وهي قوات سورية برية موالية لإيران تمتلك دعماً عسكرياً ضخماً، ووفق موقع إيران وير عرفت هذه القوات محلياً بـ«استباحة» المناطق التي يسيطرون عليها بما يسمى (تعفيش) أي سرقة جميع ممتلكات المدنيين الذين يخرجون من منازلهم بعد القصف، ويبيعونها في أسواق خاصة في دمشق وحلب يطلقون عليه اسم (سوق السنة).

ونشطت بدعم إيراني (جمعية البستان) وهي جمعية خيرية تأسست العام ١٩٩٩، تتبع لرجل الأعمال السوري رامي مخلوف (ابن خال الرئيس السوري بشار الأسد)، ومع اندلاع الاحتجاجات تحوّلت إلى تشكيل يضم متطوعين يشاركون في قمع المحتجين، والقتال إلى جانب قوات النظام السوري.

كما نشطت (كتيبة الفوعة) وهو تشكيل عسكري، غالبية مقاتليه من المذهب الشيعي، قوامه ٣٠٠ مقاتل من أبناء بلدة الفوعة، يتلقون الدعم العسكري واللوجستي من إيران، ويقاثلون كقوات رديفة لقوات النظام، كان مركزهم في الفوعة بريف إدلب في الشمال الغربي، ثم انتقل إلى ريف دمشق بعد سيطرة فصائل المعارضة عليها.



ماهر فرغلي  
كاتب مصري

# هكذا تُعسكر إيران الشيعة في العراق



الاقتتال الطائفي وتفشي الإرهاب، وتفاقم النزعات الانفصالية، والنزوح الجماعي غير المنظم، وهو ما ظهر جلياً في العراق.

## العسكرة والمذهب وراء السياسة

ينتمي مفهوم «العسكرة» إلى بيئة مفاهيم العلوم العسكرية والصلح الحربي، وهو اسم مشتق من الفعل «عسكر»، وتعني عسكرة كتلة ما إضفاء الصبغة العسكرية من تدريب وتجنيد وتسليح وتعليم أفرادها فنون القتال

سعى صنّاع القرار الإيراني إلى تنفيذ أيديولوجيا ولاية الفقيه باستحداث أذرع عسكرية مؤدلجة يكون لها اليد الطولى على المؤسسات العسكرية الأخرى في إيران، وصبغها بأسماء ذات دلالات مذهبية تجعل مقاتليها يدافعون عنها عقدياً، وتجييش وعسكرة المجموعات السكانية في الخارج وفق ذات الاستراتيجية بعد تسييسها، إما ضد الأنظمة السنية الحاكمة، وإما دعماً للأنظمة الشيعية، دون أدنى اعتبار لما ستؤول إليه أوضاع الدول المستهدفة جراء

# «حوالي ١٠٠ ألف مقاتل شيعي جلبتهم طهران من أفغانستان والعراق وباكستان ولبنان ودربتهم بالعراق»

غرب كربلاء)، (كتائب الأئمة بالنجف)، (كتيبة الغدير بكربلاء)، (لواء بني هاشم)، (لواء صاحب الزمان)، (كتيبة ولي العصر)، و(فيلق علي بن أبي طالب).

وقد انصهرت الميليشيات جميعها لتشكيل «الحشد الشعبي الشيعي» في نهاية ٢٠١٦ تنفيذاً لأوامر الولي الفقيه لتكرار تجربة حزب الله في لبنان لإكمال حلقات القوة الصلبة التابعة لإيران في العراق وسوريا ولبنان واليمن.

وعقب الانسحاب الأمريكي من العراق ٢٠١١، ظهرت عناوين ما يسمى بـ«فصائل المقاومة» وهي الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران إلى العلن، مع محاولات إعلامية للترويج أنها أجبرت قوات الاحتلال الأمريكي على الانسحاب، لتثبيت وجودها العسكري والسياسي.

من هذه الميليشيات والفيالق ما ظهر قبل الغزو الأمريكي للعراق مثل المنظمة التي كان يقودها هادي العامري، وجزء آخر ظهر بعد سقوط العراق ٢٠٠٣، في حين الجزء الأكبر ظهر بعد ظهور داعش ٢٠١٤، مثل عصائب أهل الحق بقيادة

والحروب اللا متماثلة بشكل يجعلها قوة ورقما بحمل السلاح واستخدامه والدخول في أتون صراعات ومعارك سواء ضد الأنظمة الحاكمة بوحدة دولية ما أو ضد طائفة دينية أو أقلية أخرى ذات منظومة فكرية مغايرة على نحو يضمن لها قوتها ونفوذها، وهذا ما تشهده دول العالم الثالث؛ إذ لجأت إيران إلى عسكرة بعض المجموعات السكانية خارج حدودها لتنفيذ استراتيجياتها ومخططاتها.

تتركز معظم التجمعات الشيعية (ما بين ٧٠ و ٨٠٪) في أربع دول على رأسها إيران التي بلغ عدد سكانها وفقاً لتقديرات موقع وكالة الاستخبارات الأمريكية «فاكت بوك» في تموز (يوليو) ٢٠٢١ نحو ٨٥,٨ مليون نسمة.

ويسير المذهب وراء سياسة مَن يحكمون إيران، يقول محمد السلمي، في مجلة كلية السياسة والاقتصاد العدد الحادي عشر، بدراسة نشرتها جامعة أم القرى العام ٢٠٢١: إنَّ طهران قامت بصناعة عدة تشكيلات مسلحة تابعة للحرس الثوري، مستغلة المذهب، منها على سبيل المثال في العراق (حمزة سيد الشهداء شمالي

# «بعد سقوط نظام صدام واغتيال مؤسس فيلق بدر زاد التصاقه بالأجندة الإيرانية وتغير اسمه إلى «منظمة بدر»»

## الحشد والجيش الإيراني الحر

في نفس الاتجاه كانت هناك فيالق عراقية تتلقى دعماً غير محدود من إيران، منها: فيلق بدر العراقي، الذي بدأ العمل العام ١٩٨٢ كذراع عسكري للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، الذي أسسه السيد محمد باقر الحكيم بمعاونة مخبرانية إيرانية قضت بتجنيد العراقيين المنفيين في إيران وأسرى الجيش العراقي خلال الحرب العراقية الإيرانية لمصلحته.

شارك فيلق بدر في عدة معارك ضد الجيش العراقي، وفي عمليات الانتفاضة الشعبانية الشيعية في العراق العام ١٩٩١. وبعد سقوط نظام صدام حسين العام ٢٠٠٣، واغتيال المؤسس، بدأ التصاق الفيلق بالأجندة الإيرانية في العراق جلياً جداً، وتغير اسمه إلى «منظمة بدر» بعد إصدار قانون حلّ الميليشيات، وبتأسيه هادي العامري.

وبعد الإطاحة بنظام صدام حسين وتصاعد النفوذ الشيعي، تشكلت عدة فصائل شيعية مسلحة، توحدت تلك ٢٠٠٦ لتشكل حزب الله - العراق، الذي صنّفته أمريكا عام ٢٠٠٩ منظمة إرهابية.

قيس الخزعلي، وحركة النجباء بقيادة أكرم الكعبي، وكتائب حزب الله العراقي، وجيش المختار بقيادة واثق البطاط، ولواء أبو الفضل العباس بقيادة أوس الخفاجي، وكتائب الإمام علي بقيادة شبل الزيدي، وسرايا الخراساني، وفرقة العباس بقيادة هيثم الزيدي.

يضاف ما سبق إلى حوالي ١٠٠ ألف مقاتل شيعي جلبتهم طهران من أفغانستان والعراق وباكستان ولبنان، بينما قدّرت منظمة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة عددهم بنحو ٧٠ ألف مقاتل، بينهم ٢٠ ألفاً من الميليشيات العراقية ومثلهم من الأفغان، إلى جانب ٧ آلاف من باكستان، ونحو ١٠ آلاف مسلح من ميليشيات حزب الله، تم تدريبهم في العراق ومعسكر بازوكا في إيران، وبعضهم تم إرساله لسوريا واليمن، كجزء من (قوات شيعية عابرة للحدود) تحت اسم (الجيش الشيعي الحر) الذي يتكون من: لواء حيدرليون، ويتشكل من شيعة العراق ولواء حزب الله، ولواء فاطميون، الذي يتشكل من الشيعة الأفغان، ولواء زينيون، الذي يتكون من شيعة باكستان.

## «تعدد ولاءات تلك الفصائل فمنها من يتبع المرشد الإيراني وأخرى مرجعية النجف عدا مراجع شيعية أخرى»

الله»، التي شكلها القائد العسكري أبو مهدي المهندس العام ٢٠٠٦، وهو الذي أصبح القائد الرئيسي للمظلة الجامعة للمليشيات الشيعية، المعروفة باسم قوات «الحشد الشعبي».

ويتكون الحشد الشعبي من نحو ٦٧ فصيلاً، وفي العام ٢٠١٩ تم تنظيم فصائل الحشد في شكل ألوية، وعددها ٦٤ لواء موزعة على ٨ محاور.

وتتعدد ولاءات تلك الفصائل، فمنها من يتبع المرشد الإيراني، ومنها من يتبع مرجعية النجف، بينما يتبع البعض مراجع شيعية أخرى.

وتواصل مليشيات الحشد الشعبي العراقية تحركاتها الهادفة إلى بناء اقتصاد مواز لها داخل المؤسسات الحكومية وخارجها، وذلك في تكرار واضح لتجربة الحرس الثوري الإيراني، الذي تمكن بحسب التقديرات من السيطرة على ثلث الاقتصاد الإيراني.

وعلى الرغم من سعي جميع الحكومات العراقية المتعاقبة منذ ظهور

وظهرت حركة عصائب أهل الحق العراقية، ويترأسها قيس الخزعلي وكانت تعمل كإحدى سرايا جيش المهدي بقيادة السيد مقتدى الصدر، لكنها استقلت عنه تماماً بعد الإعلان عن حل جيش المهدي العام ٢٠٠٨.

كما تدعم إيران (حركة النجباء العراقية)، التي أسسها أكرم الكعبي، عقب انشقاقه عن عصائب أهل الحق، العام ٢٠١٣.

ووفق دراسة لمركز الحوار السوري، تحت عنوان: استثمار إيران في جماعات الغلو والتطرف، نشرها موقع (على بصيرة) إنه بعد أربعة أيام من الاستيلاء على الموصل العراقية، أصدر آية الله العظمى علي السيستاني، أكبر مرجعية دينية شيعية في العراق، فتوى الجهاد الكفائي، التي تحض العراقيين على التطوع للقتال ضد مسلحي التنظيم، وبعدها توافد عشرات الآلاف من الشباب، ومعظمهم من شباب الجنوب الشيعي الفقير وضواحي بغداد، على مراكز التجنيد ومعسكرات الجيش ومقار المليشيات، وكان بعضهم يرتدي عصابات خضراء تحمل شعار «كتائب حزب

ميليشيات الحشد الشعبي كفاعل رسمي لهيكله تلك الميليشيات إلى فرض سيادة وهيبة الدولة، فإن جميع المحاولات فشلت في هذا الصدد لاصطدامها بعقبة كبرى، وهي هيمنة القوى الشيعية ذات الصلة الوثيقة بإيران.

إنّ ما جرى في العراق وسوريا واليمن ولبنان، وغيرها من الدول الأخرى خير دليل على السياسة الإيرانية لعسكرة التشيع، حين اتجهت طهران نحو تجيش وعسكرة الجيوب الشيعية في كثير من الدول، وتسليحهم لكي يصبحوا أرقاماً لا يمكن تجاوزها في دولهم، ويكونوا رديفاً تستطيع إيران من خلالهم تمرير مخططاتها.



خالد بشير  
كاتب أردني

# استنساخ نموذج الحرس الثوري: كيف عملت إيران على تصدير ثورتها؟



اتخاذ شكل ونموذج محدد، وصار معتمداً، وما يزال.

مع نهاية الثورة الإسلامية في إيران، عام ١٩٧٩، لم يكن بإمكان قيادات الثورة الاعتماد بعد على الجيش الإيراني، باعتبار أنّ نسبة من قاداته كانوا ما يزالون على ولاء وارتباط بالشاه المنفي خارج البلاد، عدا عن عدم التأكد من ولائهم وتشرّبهم لعقيدة الثورة، فجاء تأسيس تنظيم «الحرس الثوري» كقوّات نخبوية مهمتها حماية الثورة، اليوم تصل تقديرات عدد

قدمت الثورة في إيران نفسها، بعد استكمالها عام ١٩٧٩، باعتبارها منهية لعهد من الحكم العلماني المرتبط بالغرب، ولم ترَ اقتصارها على حدود إيران، وإنما متعدّية بالضرورة لعموم العالم الإسلامي، وفق هذه الرؤية؛ تشكّل مبدأ «تصدير الثورة»، تحول المبدأ إلى مشروع مع الانتقال إلى مرحلة الترجمة والتطبيق، مع عدم اتخاذ شكل ونموذج محدد في البداية، حتى بدت حادثة مثل اغتيال السادات، عام ١٩٨١، لوهلة باعتبارها أحد تمثّلاته، لكن سرعان ما اتجهت الأمور نحو

## «توجه المعارضون لنظام الشاه إلى لبنان منذ أعوام ما قبل الثورة وبدؤوا في نسج العلاقات هناك»

عراقي ومقاتل إيراني، وإنما استطاع الحرس الثوري أن يضع العراقي في مواجهة العراقي أيضاً، وذلك مع مبادرة الحرس الثوري لتجنيد وتدريب وتسليح مقاتلين عراقيين لمواجهة الجيش العراقي، وليبدأ بذلك تأسيس تشكيلات مسلحة عراقية مرتبطة بالثورة الإسلامية وقيادتها، تقدم الولاء المطلق لمرشدها الأعلى، وهو النموذج الذي سيتكرر ويمثل الشكل الأمثل لتصدير الثورة إلى خارج إيران، عبر الأعوام والعقود اللاحقة.

عام ١٩٨١؛ تأسست في الأحواز معسكرات «الشهيد الصدر» لتضمّ مقاتلين من حزب «الدعوة الإسلامية» العراقي، وتأسس معها ما عرف بـ «قوات الشهيد الصدر». وتحقيقاً لغاية تصدير الثورة إلى العراق تأسس في إيران «المجلس الأعلى الإسلامي العراقي»، في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٨٢، لتكون مهمته إدخال الثورة الإسلامية إلى العراق وخلافة نظام صدام حسين بعد الإطاحة به.

وعام ١٩٨٣؛ أشرف الحرس الثوري الإيراني على تأسيس تنظيم آخر، حمل اسم «فيلق بدر»، ليقوم بعمليات عسكرية داخل العراق ضدّ الحكومة العراقية،

أعضائه إلى مئة وخمسة وعشرين ألف مقاتل، وهو لا يقتصر على كونه تنظيمًا عسكريًا؛ إنما هو منظمة استخباراتية، وتكتل صناعي واقتصادي أيضاً.

منذ وصول الثورة إلى الحكم وتأسيس الجمهورية الإسلامية، كان تفكير القيادة يتجه نحو تصدير الثورة عبر الحدود، وتشكّل الاعتقاد لدى قادة الثورة بأنّ ثورتهم مهددة في الداخل ما لم تجد لها امتدادات في الجوار، واتجه التفكير نحو مواجهة حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة، ودعم الحركات المناوئة للأمريكيين، باعتبار أنّ الثورة قامت ضدّ حكم الشاه، الحليف الأكبر للولايات المتحدة، وارتبطت مهمة تصدير الثورة بالحرس الثوري، الذي سرعان ما نشط في عدد من بلدان الجوار، وبادر لتأسيس ودعم عدد من التنظيمات المشابهة لتكوينه والمتقاربة مع عقيدته وتوجهاته، والمؤمنة بالثورة الإسلامية وقيادتها.

### في العراق

قاد الحرس الثوري الإيراني المواجهات المسلحة، بعد اشتعال جبهات القتال مع الجارة العراق، عام ١٩٨٠، لكنّ المواجهة في هذه الحرب لم تكن فقط بين مقاتل



جاء تأسيس تنظيم «الحرس الثوري» كقوات مهمتها حماية الثورة

٢٠٠٣، تنظيم «كتائب حزب الله العراق»، الذي قدم الحرس الثوري له كافة أشكال الدعم؛ من التمويل والتسليح والتدريب، وترأس التنظيم منذ تأسيسه وحتى اغتيال العضو في الحرس الثوري «أبو مهدي المهندس»، مطلع العام الحالي.

وعام ٢٠٠٦؛ تأسست منظمة «عصائب أهل الحق»، بقيادة قيس الخزعلي، بعد انشقاقه من جيش المهدي التابع لمقتدى الصدر، إثر معركة جيش المهدي ضد القوات الأمريكية، عام ٢٠٠٤، وتلقى العصائب التدريب والسلاح من فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني.

وإثر تمدد تنظيم داعش، واحتلاله ثلث مساحة العراق، عام ٢٠١٤، بدأت

بإشراف وتخطيط من الحرس الثوري الإيراني.

كانت أعوام الحرب العراقية - الإيرانية الثمانية بداية التأسيس للتنظيمات المسلحة الشيعية العراقية المرتبطة بالحرس الثوري، وبعد الحرب استمر احتضان ودعم هذه التنظيمات، وبدأت مرحلة جديدة مع الإطاحة بالنظام العراقي السابق والاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣.

أشرف الحرس الثوري على تأسيس ميليشيات جديدة مستفيدة من حالة تفكك وانهيار الدولة العراقية مع زوال المؤسسات العسكرية والأمنية للنظام السابق، ومن أبرز التنظيمات العراقية المسلحة المرتبطة بإيران التي تأسست في مرحلة ما بعد

# «شكّلت الثورة الإسلاميّة، وما تزال، مصدر إلهام لمؤسسي وقادة حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين التي تأسست ١٩٨١»

اختاروا التوجه إلى لبنان منذ أعوام ما قبل الثورة، وانخرط كثيرون منهم في معسكرات تدريبية، وبالتحديد مع فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وبدؤوا في نسج العلاقات هناك منذ ذلك الحين.

بعد انتصار الثورة في إيران تعززت الجهود، وبدأ الحرس الثوري يكتّف جهوده بشكل فعلي من أجل تصدير الثورة عبر تأسيس ودعم تنظيمات مماثلة، وهنا برز دور أسماء قيادية، مثل محمد منتظري، أحد أبرز قادة ومهندسي الحرس الثوري، والذي أقام لأعوام في لبنان، وتمتّع بصلات واسعة مع قادة الشيعة في لبنان، وعموماً مع تنظيمات ما عرف بـ «الحركة الوطنية اللبنانية»، وكذلك، اللواء مصطفى تشرمان، أول وزير دفاع للجمهورية الإسلامية (١٩٧٩-١٩٨٠)، وقائد الحرس الثوري الإيراني في مرحلة التأسيس، والذي أقام في جنوب لبنان فترة قبل الثورة الإسلامية، وكان له دور أساسي في تأسيس «حركة المحرومين» بالتعاون مع موسى الصدر، عام ١٩٧٥، وكذلك تأسيس الفرع العسكري لها، حركة «أمل»، قبل أن يعود إلى إيران بعد الثورة وينخرط في قيادة وتدريب عناصر الحرس الثوري.

تكتسب هذه التنظيمات صفة رسميّة مع تشكيل قوات «الحشد الشعبي» لمواجهة التنظيم الإرهابي، وتألفت هذه القوّات من سبعة وستين فصيلاً، وجاء تشكيلها بعد فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها السيستاني، المرجع الأعلى في النجف، وفي عام ٢٠١٦؛ اكتسبت هذه القوات الصفة الرسمية مع إقرار البرلمان العراقي قانون هيئة الحشد الشعبي، في خطوة رأى البعض حينها أنّها جاءت بدفع وضغط من إيران وحلفائها في العراق، وهكذا، كما في إيران، بات هناك في العراق قوّات عسكريّة شبه نظاميّة، تكتسب نفوذاً وقوّة تزاخم القوّة الرسمية للدولة الممثلة بمؤسسة الجيش.

## في لبنان

سعت الثورة الإسلامية للتمدّد باتجاه الخارج، ولكن ذلك كان متعذراً، إلى حدّ ما، في البلدان المستقرة، فاتجه تركيز الجهود نحو البلدان التي تداعى فيها الاستقرار وتراخت فيها سيطرة الدولة المركزية، وهو ما توافر في لبنان بشكل مثاليّ، مع اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، عام ١٩٧٥؛ حيث نشطت فيها التنظيمات المسلحة من مختلف الخلفيات والتوجهات، وكان المعارضون لنظام الشاه الإيراني قد



محمد باقر الحكيم مشاركاً في أحد المحافل بـإيران

المساهمة في تأسيس النواة للتنظيم الذي سيُشهر ويعرف لاحقاً باسم «حزب الله».

وهنا، برز اسم «علي أكبر محتشمي»؛ الذي أقام شبكة من العلاقات مع ناشطين سياسيين من شيعة بيروت ومنطقة البقاع، وكان له الدور الأهم في مهمة تأسيس حركة حزب الله، وهو وزير الدفاع لجمهورية الإسلامية في الفترة (١٩٨٥-١٩٨٩)، وأشرف على أولى العمليات التي شنتها حزب الله قبل الإعلان عن تأسيسه، عام ١٩٨٥، بما في ذلك الهجوم على السفارة الأمريكية في بيروت، عام ١٩٨٣.

مع الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان، عام ١٩٨٢، تسارعت وتيرة الجهود الإيرانية، في ظلّ تصاعد التنظيم العسكري بهدف مقاومة الاحتلال، وتعزز النشاط العسكري بشكل خاص بين المجموعات الشيعية، وهنا برز دور أسماء مثل جلال الدين الفارسي، الذي كان قد غادر رفقة مجموعة من المعارضين الإيرانيين إلى لبنان منذ السبعينيات، وتلقوا التدريبات في معسكرات منظمة التحرير الفلسطينية، كما كان مقرباً من حركة أمل قبل أن يقع الخلاف بينه وبينها؛ بسبب ما كان يطلبه من زيادة توجه الحركة نحو الاشتباك مع الاحتلال الإسرائيلي وهو ما كانت لا تبدٍ اندفاعاً تجاهه، وهنا اتجه العمل باتجاه



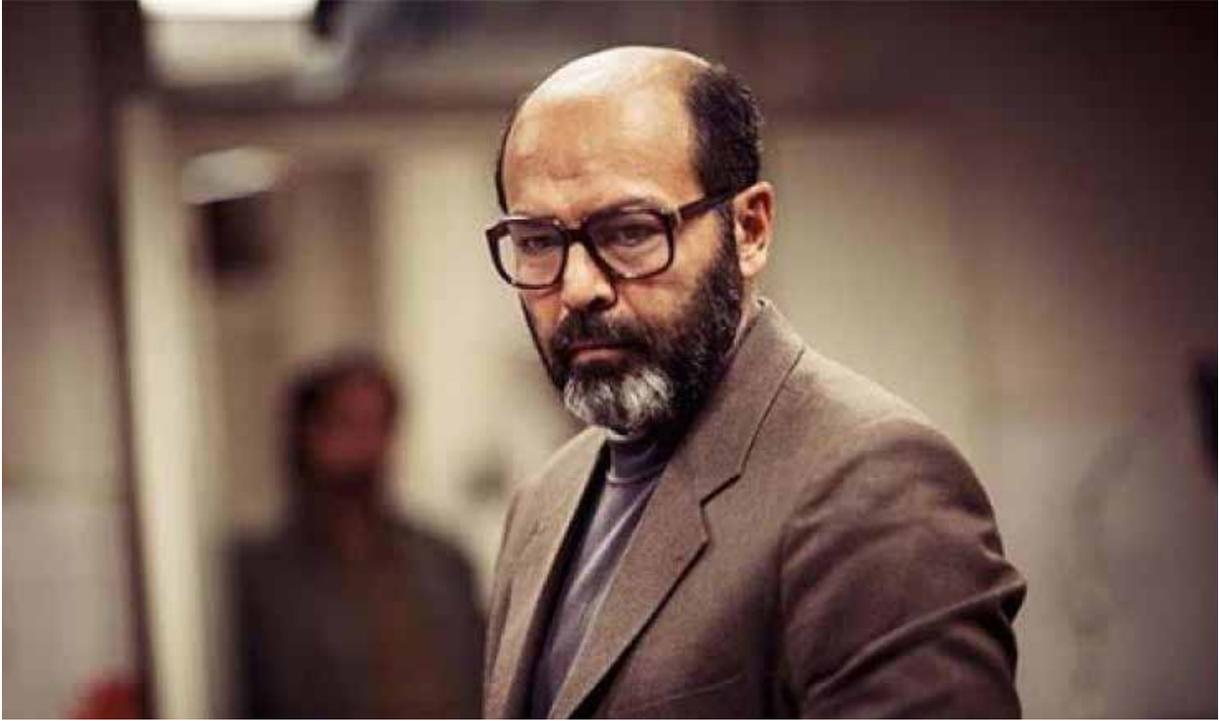
بدأت التنظيمات العراقية المرتبطة بالحرس الثوري تكتسب صفة رسمية

لتكون هي أيضاً مجالاً مناسباً لتصدير الثورة الإسلامية إليها، باعتبار ما تعرفه من احتلال وغياب للحكم المركزي ونشاط للتنظيمات المسلحة بتوجهاتها المختلفة، وقد حاولت الثورة في البداية استقطاب منظمة التحرير وقيادتها وتقريبها من الثورة، لكن الاختلاف الأيديولوجي وبعد فصائل المنظمة عن الأيديولوجيا الإسلامية بالعموم، ظلّ عامل إضعاف للرابطة، ومع اندلاع الحرب العراقية الإيرانية واختيار قيادة المنظمة الانحياز إلى الجانب العراق تبذرت أيّة فرص لتأسيس مثل هذا العلاقة، وهنا اتجهت الثورة للبحث عن تعزيز علاقاتها بأطراف ذات ميل وتوجه يتبنى المقاومة المبنية على رؤية إسلامية للصراع مع «إسرائيل»، وهو ما كان قد بدأ بالتوفر على الساحة الفلسطينية. وكانت الحركة الأقرب للعب هذا الدور هي حركة

وجاء اتفاق الطائف، عام ١٩٨٩، ليطالب بنزع السلاح من جميع التنظيمات اللبنانية، إلا أنّ حزب الله رفض ذلك وقدمّ سلاحه باعتباره مقاومة تهدف إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للبلاد، وبعد انسحاب «إسرائيل» من جنوب لبنان، عام ٢٠٠٠، قاوم الحزب الضغوط المطالبة بنزع سلاحه، وكانت الحجة استمرار الوجود الإسرائيلي في مزارع شبعا، والمناطق الحدودية المتنازع عليها، وطيلة أعوام نشاطه، التزمت إيران بتزويد الحزب بالمساعدات المالية والتدريب والسلاح، ليتحول الحزب، كذلك، إلى قوة عسكرية شبه نظامية، تزاخم مؤسسة الجيش الرسميّة.

### في فلسطين

كانت الساحة الفلسطينية مرشحة



اللواء مصطفى تشرمان: دور مركزي في تأسيس «حركة المحرومين»

محدثات مدريد عام ١٩٩١، سعت إيران لمواجهة المسار التفاوضي فبادرت لعقد مؤتمر مضاد رافض للتسوية في طهران، وفي العام ذاته، وكانت حركة الجهاد في مقدمة المشاركين، وبقيت الحركة طوال الأعوام اللاحقة، وما تزال، في طليعة الحركات الرافضة للمسار التفاوضي.

وهكذا؛ فإنّ إيران لم تعتمد في علاقتها مع الفلسطينيين على تأسيس علاقات مباشرة مع السلطة الفلسطينية، الجهة الممثلة رسمياً للفلسطينيين، بل فضّلت إقامة علاقات وصلات مع تنظيمات أقرب لها، مثل الجهاد وحماس، وقدمت لهم أشكالاً مختلفة من الدعم، من المالي إلى اللوجستي والعسكري، وساهمت بذلك في تكريس الانقسام الفلسطيني وإطالة أمده.

الجهاد الإسلامي التي تأسست عام ١٩٨١، وافتتحت لها مكاتب في دمشق، حليفة طهران، منذ انطلاقتها.

جاءت نشأة الحركة بعد عامين من نجاح الثورة في إيران، وكان قادتها متأثرين بالثورة التي شكلت مصدر إلهام لهم، وفي مقدمتهم المؤسس فتحي الشقاقي، الذي ألف كتاباً بعنوان «الخميني: الحل الإسلامي البديل».

انخرطت الحركة في المقاومة بشكل متصاعد مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى، أواخر الثمانينيات، وكانت إيران الداعم الرئيس لأغلب عمليات الحركة.

وبعد انطلاق أحداثات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، بداية من



علي أكبر محتشمي: الدور الأهم في تأسيس حزب الله

بداية من الثمانينيات؛ بدأت السفارة الإيرانية بتقديم دعوات للشباب اليمني لزيارة إيران والتعرّف على تجربة الثورة الإيرانية، واجتذبت خصوصاً الشباب الزيديّ، ومن بين هؤلاء الشباب، برز اسم حسين بدر الدين الحوثي، الذي قام رفقة مجموعة من العائدين من طهران، مثل محمد عزان، وعبد الكريم جذبان، بتأسيس تنظيم «الشباب المؤمن»، عام ١٩٩٢، في محافظة «صعدة»، شمال اليمن، والذي تطوّر وعرف لاحقاً باسم جماعة «الحوثيين»، نسبة لمؤسسها.

ومنذ مرحلة التأسيس، برز مدى تأثير حسين الحوثي، في خطبه وكتاباته بنموذج الثورة الإيرانية ومبادئها، وقائدها الإمام الخميني، ومع تصاعد الصراع الداخلي في

واليوم، يعدّ أكرم العجوري، عضو المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي في الخارج، المشرف الأول على العلاقات مع إيران، وكان يتمتع بصلة وثيقة مع القائد السابق لفيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني، قاسم سليمان؛ حيث يقوم بدور المنسق الرئيس بين الحرس الثوري الإيراني والجهاد الإسلامي.

### في اليمن

توافرت في اليمن عدة عناصر جعلت منه مكاناً مرشحاً لتصدير الثورة الإسلاميّة، حيث تضعف سلطة الدولة المركزية هناك، في ظل حضور وسيطرة العامل القبلي، كما يوجد في اليمن انقسام طائفي، وهناك تحديداً أقلية شيعية، ولو أنّها من غير الإثني عشرية، من الطائفة الزيدية.



تداوم حركة الجهاد الإسلامي على إحياء «يوم القدس العالمي» الذي أطلقه الخميني عام ١٩٧٩

بدأت تظهر تأثيرات «حزب الله» على أساليب قتال الحوثيين، وكذلك على الهرم التنظيمي للجماعة.

ومع دخول منعطف ثورة الشباب اليمنية، عام ٢٠١١، أخذت الأحداث منحى جديداً، مع اختيار الجماعة الانقلاب على مسار الحوار الوطني، وتمدها عسكرياً في المحافظات اليمنية، وصولاً حتى دخول العاصمة صنعاء في أيلول (سبتمبر) عام ٢٠١٤.

وتواتر الدلائل عن توافر الدعم الإيراني للجماعة؛ فعلى مستوى التدريب وتقديم الاستشارات، كان رئيس الأركان الإيراني، محمد باقري، قد صرح بذلك

اليمن، وتزايد بؤادر المواجهة مع الحكومة اليمنية، رفعت الحركة علنياً شعار «الموت لأمريكا والموت لإسرائيل»، وتحديداً بعد عام ٢٠٠١، في مرحلة كان نظام الحكم اليمني قد تموضع ضمن التحالف الأمريكي للحرب على الإرهاب، ولم يبدِ أيّة معارضة للمواقف الأمريكية، وتحديداً حرب العراق، عام ٢٠٠٣، فجاء رفع الشعار من قبل الحوثيين في أطر المواجهة المتصاعدة مع صنعاء، والتي تستند في جذورها إلى حالة من التهميش والإقصاء لمحافظة صعدة. ومع حلول عام ٢٠٠٤؛ اندلعت المواجهات المسلحة المباشرة بين الحوثيين والحكومة اليمنية، فيما عرف بـ «الحروب الست»، والتي استمرت حتى عام ٢٠١٠، ومنذ الحرب الرابعة، عام ٢٠٠٧،



مقاتلون حوثيون يرفعون صورة «حسين الحوثي» مؤسس الجماعة الذي قتل عام ٢٠٠٤

«ميدي»، الواقع حينها تحت السيطرة الحوثية.

يتمحور خطاب الحرس الثوري والمجموعات المرتبطة به حول مقولة المواجهة الحاسمة مع «إسرائيل» والإعداد المستمر لها، وكثيراً ما تكون مقولة مركزية في مراحل التأسيس وعمليات التحشيد والشرعة لهذه المجموعات وأنشطتها، وحول هذه النقطة يعلق د. خالد الحروب، أستاذ الدراسات الشرق أوسطية في جامعة «نورث ويسترن» في قطر، في حديثه لـ «حفريات»: «مرّ على ثورة الخميني أكثر من أربعين عاماً؛ أي إنها أكبر عمراً من نصف عمر «إسرائيل»، ومنذ اليوم الأول وأحد شعاراتها المدوية هو محاربة «إسرائيل»، وتطوّر لاحقاً إلى إبادتها، كما في

مؤخراً في أكثر من مناسبة، منها ما جاء في كلمته في أحد المراكز التعليمية التابعة لقوات «الحرس الثوري»، قال: «اليمنيون اليوم تمكنوا من إسقاط العديد من الطائرات الحديثة، وهذا بالطبع لأنّ علوم الثورة الإسلامية ودعمنا المعنوي كان وراءهم»، وكذلك تصريحاته في مقابلة لمحطة «فونيكس» الصينية، التي أقرّ فيها بوجود دور لـ «حزب الله» في عمليات التنظيم والتدريب للحوثيين.

وعلى مستوى السلاح، تکرّر حديث السلطات عن إيقاف زوارق وسفن متجهة إلى اليمن تحمل أسلحة قادمة من إيران، واشتهر منها سفينة «جيهان»، التي تمّت السيطرة عليها، في كانون الثاني (يناير) عام ٢٠١٣، عندما كانت في طريقها إلى ميناء

عهد الرئيس الأسبق، أحمددي نجاد، وخلال الأربعين عاماً لم يحدث هناك أيّ صدام مباشر بين إيران و«إسرائيل»، بل إنّ كلّ الصدامات التي انخرطت فيها إيران كانت مع العرب وعلى أراضٍ عربية».

ويشير ذلك بحسب الحروب إلى أنّ «رفع شعار فلسطين والممانعة، وسوى ذلك، هو نسخ الممارسة سيئة الصيت نفسها التي اشتهرت بها بعض الأنظمة العربية؛ لأنّ قضية فلسطين ومسألة الممانعة توفر رافعة الشرعيّة الوحيدة أو الأهم للنظام الذي يستخدمها، إما داخلياً كما فعلت بعض الأنظمة العربية، وإما إقليمياً مثل حالة إيران. وتوافر هذه الشرعية اللفظية والشعاراتية المسوّغ الذي تستخدمه الأنظمة، وأحياناً الأحزاب والحركات لتبرير سياسات وممارسات وقمع ما كان له أن يحدث أو يمرّ بالسهولة نفسها في حال لم تتوافر تلك الشرعية».



سامح اسماعيل  
كاتب مصري

# كيف حاولت إيران تقويض الأمن القومي العربي؟



بمفهوم الجامعة الإسلامية، والثاني؛ عروبي ظهر على استحياء مع بدايات القرن العشرين، حمله المثقفون الشوام، ونظّر له الكواكبي؛ حينما أكّد على حتمية وجود أمة عربية، ضاربة جذورها في أعماق البنية الثقافية والاجتماعية لشعوب المنطقة، ثم جاءت تبعات مؤامرة سايبكس بيكو، لتجمد المشروع القومي لعقود، قبل أن تدفعه حركات التحرر الوطني العربية إلى الأمام، ليتخذ هذا المشروع موقعه في ذروة الحرب الباردة، بين الاستقطاب السوفيتي ومشروع أيزنهاور، والذي صاغ بالتبعية محددات

تأخر مفهوم «الأمة القومية» في الظهور بالمنطقة العربية، لعدة أسباب ربما تعود في أغلبها إلى ملابسات الواقع السياسي، الذي ربط مسارات التطور بتحوّلات الإمبراطورية العثمانية، قبل أن يحل الاستعمار الأوروبي بدوره كمتغير قطع خط التاريخ.

انعكس ذلك بالضرورة على جملة الأفكار التي تنازعها تياران: الأول؛ تيار إسلامي يرى حتمية الارتباط بالدولة العثمانية، ذلك الذي عبر عنه جمال الدين الأفغاني،

# «على هامش الجغرافيا السياسية العربية أمكن تمييز مدخلات المشروع الإيراني في ظل المتغير الإسلاموي»

جغرافيته السياسية والتوازنات الدولية والإقليمية.

مفهوم الأمن القومي العربي، وفق نظرية الدوائر الثلاث.

وعلى هامش الجغرافيا السياسية العربية، أمكن تمييز مدخلات المشروع الإيراني في ظل المتغير الإسلاموي، باتباع نظرية الواقعية الهجومية، لمد النفوذ وفرض الهيمنة على المحيط العربي، حيث اتجهت إيران صوب المحيط العربي، باعتباره المجال الحيوي لمشروعها السياسي الجديد.

## الأمن العربي بين الواقعية

### الهجومية والبنوية الدفاعية

حملت القاهرة على عاتقها في عقدي الخمسينيات والستينيات، مهمة الدفاع عن الأمن القومي العربي، وتكريسه في محيطه الجغرافي، وفق رؤية واقعية هجومية، سعت من خلالها نحو التمدد إلى آخر مجال جغرافي يمكن الذهاب إليه، عبر القوة الناعمة وربما الخشنة، لتشكيل طوق سياسي، تتحدد معه مناطق النفوذ في دوائرها الجغرافية العربية والإفريقية والإسلامية، بل وتخطتها لدوائر أبعد؛ في آسيا وأمريكا الوسطى والجنوبية، ما أخل بموازين القوى الإقليمية في غير صالح الولايات المتحدة وإسرائيل، ما استدعى ضربة الخامس من حزيران (يونيو) العام ١٩٦٧، والتي وإن حُدّت من تأثير القوة الهجومية المباشرة، إلا أنّ مفهوم الأمن القومي العربي احتفظ بوجوده، رغم كافة التدخلات، حتى مع توقيع معاهدة كامب ديفيد العام ١٩٧٩، وإن تحول إلى أسلوب البنوية الدفاعية، للاحتفاظ بمعطياته الرئيسية وفق خطوطه الحمراء، في سياق

## سقوط العراق يفتح الأبواب

### الموصدة

يمكن القول إنّ الثورة الإسلامية التي انتزعت إيران من أدوارها الوظيفية، العام ١٩٧٩، كانت إيذاناً بانتهاج سياسات جديدة، حاولت من خلالها طهران تجاوز دوائرها الجغرافية التقليدية في أواسط آسيا وبلاد القوقاز، وسعيّاً نحو تطويق مناطق نفوذ محتملة في العالم العربي، انتهجت أيديولوجيا تقوم على مبدأ تصدير الثورة، ونشر التشيع السياسي، مع استدعاء النهج الفارسي، بإعادة إحياء النزعة الكسروية تحت رداء شيعي، حيث قام نظام الملاي بأسلمة المعطيات القومية الفارسية،

## « باتباع نظرية الواقعية الهجومية اتجهت إيران صوب المحيط العربي باعتباره المجال الحيوي لمشروعها السياسي الجديد »

فبحسب تقرير لمؤسسة راند؛ «فمن المنظور الإيراني، فإنّه من الأهمية بمكان أن تظل العراق دولة صديقة وسلسلة الانقياد، تدعم مصالح الأمن القومي الإيراني، وتود الدولة الشيعية في إيران أن تتأكد من عدم تحول العراق ومؤسساته الدينية إلى خطر، يهدد مفهوم إيران للحكم الديني، أو ولاية الفقيه».

ومنح ظهور تنظيم داعش، في الأراضي العراقية، فرصة ذهبية انتهزتها إيران للانخراط العسكري في الشأن العراقي، بالتوازي مع الهيمنة السياسية، والتوغل الاستخباراتي، حيث شنت المقاتلات الإيرانية انطلاقةً من قواعدهما في الداخل، عدة غارات جوية على مواقع «داعش» في الموصل، وعلى الأرض أدار قاسم سليمان، قائد فيلق القدس، المعارك من غرفة العمليات المركزية في بغداد، كما نشرت طهران المئات من عناصر الحرس الثوري في عدة مدن عراقية.

وإعادة صياغتها قبل محاولة تصديرها إلى دول الجوار العربي.

اصطدمت طهران بقوة عسكرية تماثلها من حيث القوة، هي العراق، والتي ربما نجحت في تعطيل مسار المشروع الإيراني، لأكثر من عقد من الزمان، قبل أن تخلو الساحة من أي أعداء طبيعيين في بيئة الصراع، عقب فشل المغامرة الكويتية الساذجة، ومن ثم سقوط بغداد كقوة مركزية فاعلة في محيطها، ما مهد الطريق أمام إيران لمد نفوذها نحو المجال العربي، كمنفذ استراتيجي أخير، انفتح أخيراً على مصراعيه.

كما نجحت طهران في وضع موطئ قدم في لبنان، من خلال مَوْضعة مليشيات حزب الله الموالية، ضمن المكونات السياسية لاتفاق الطائف، وما إن هبت رياح «الربيع العربي» العاصفة، حتى أنهت طهران سيطرتها الكاملة على العراق، كخطوة حاسمة في سبيل دعم أمنها،

## « انتهجت طهران أيديولوجيا تقوم على مبدأ تصدير الثورة ونشر التشيع السياسي »

## «استدعاء النهج الفارسي بإعادة إحياء النزعة الكسروية تحت رداء شيعي»

الاستراتيجية التي يتبعها نظام الملالي، والقائمة على نشر التشيع، بغية اختراق البنية المذهبية لشعوب المنطقة، وإعادة تشكيل علاقات القوة في دول الجوار، بفرض المحاصصة الطائفية، مع توظيف القضية الفلسطينية، كقضية مركزية لدى الشعوب العربية، لشرعنة صورة المخلص الشيعي المستمدة من رمزية المقاومة، وهو ما نجح حزب الله في توظيفه، إبان جولات صراعه مع إسرائيل.

كما نجحت طهران في استغلال تحول مسار الثورة السورية، وتمكنت من تكوين تحالف عسكري وطيء مع نظام البعث، منحها قواعد عسكرية، وامتيازات ما كانت لتتحقق لولا الحرب الأهلية.

ومن جهة أخرى هيأت الطبيعة المذهبية في اليمن فرصة لإيران، لتوظيف ذراعها الحوثي لمد قدم إلى مدخل البحر الأحمر، ما يعطي طهران فعالية

### دوافع ومحفزات المشروع الإيراني بالمنطقة

بالنظر إلى ما تملكه إيران من مقومات، نجدها قادرة على لعب أدوار متعددة، ذلك بالنظر إلى استنادها إلى قوة ديموغرافية فعالة، وموقع جغرافي مهم، بالإضافة إلى موارد متنوعة، وغطاء نووي منحها القدرة على الردع، لتصبح قوة مركزية جعلها سقوط العراق في العام ٢٠٠٣، قوة إقليمية تطمح في لعب دور البطولة، وفق منطلقات أيديولوجية دينية، مزجت فيها ما بين المعطيات التاريخية والسياسية والجغرافية، والمبادئ الأممية انطلاقاً من نظرية ولاية الفقيه، كما إنّ التوجه الإيراني نحو الخارج، وبالأخص منطقة المتوسط، يأتي استجابة لجملة من الاحتياجات الاقتصادية، بحثاً عن أسواق جديدة، في ظل العقوبات الأمريكية.

يقول الخميني: «الطريق إلى القدس يمر عبر كربلاء»، ما يفسر طبيعة

## «قام نظام الملالي بأسلمة المعطيات القومية الفارسية وإعادة صياغتها قبل محاولة تصديرها عربياً»

## «نجحت طهران في وضع موطن قدم في لبنان من خلال مَوْضعة مليشيات حزب الله الموالية»

استراتيجية، تمنحها تفوقاً ملحوظاً على محاور الصراع العسكري المختلفة.

وعليه، أحدث التدخل الإيراني الناعم والخشن، اختراقاً عنيفاً لصمامات الأمن القومي العربي، تزامن وسقوط القوى المركزية التقليدية، وفي ظل الخلل الذي أحدثه الوكلاء المحليون، بات أمن المنطقة على المحك، وقد أظهرت التحولات الأخيرة تفاهات ثلاثية: إيرانية/ تركية/ قطرية، تنذر في حال نجاحها بسقوط ما تبقى من دفاعات ذاتية عربية، ما يتطلب تشكيل محور عربي مدعوم بحزام استراتيجي واسع، يقطع الطوق السياسي التركي/ الإيراني، المدعوم من قطر، في إفريقيا وآسيا، لقطع الشريان الذي يمد المليشيات التابعة في المحيط العربي بدماء الحياة.



أحمد سالم  
كاتب مصري

# إيران إذ تستثمر في الصراع السني الشيعي



والغرب يسيران في هذا المشروع لصالح إسرائيل، المستفيد الأول من إضعاف العالم العربي.

## الأسس التاريخية

لقد بدا واضحاً أنّ أمريكا والغرب يعيدان إنتاج وتدوير المنطقة عبر الصراع

بعد حرب ١٩٧٣ وهزيمة إسرائيل، كان وزير الخارجية الأمريكي، هنري كيسنجر، على وعي تامّ بأهمية تفكيك المنطقة من داخلها، وفق الصراع السنيّ الشيعي، وجاء برنارد لويس لينظر في كتاباته لإعادة تدوير المنطقة وتفكيكها وفق هذا الصراع، ومنذ أكثر من عقد، وإلى الآن، ونحن نرى أمريكا

# «إسرائيل المستفيد الأول من إضعاف العالم العربي وتأجيج الصراع السنّي الشيعي»

## الميراث الثقافي وتأجيج الصراع

ولا شكّ في أنّ الصراع المذهبي بين السنّة والشيعيّة تغذّيهِ كتب التراث القديم في علم العقائد التي كانت تعمق الفجوة بين السنّة والشيعيّة على مدار التاريخ، فأهل السنّة يعتقدون أنّهم على حقّ مطلق، والشيعيّة على باطل مطلق، وأنّ عقائد الشيعيّة في معظمها كفرية، وأنّهم ملّة خارج الإسلام، وفي المقابل؛ يقوم الشيعيّة بتكفير أهل السنّة، ويسمّونهم «النواصب»، والنظر إلى أنفسهم على أنّهم الفرقة الناجية، كما ينظرون إلى أهل السنّة على أنّهم فرقة كافرة.

ولا ينبغي غصّ الطرف عن الإقصاء القائم بين المذاهب الإسلاميّة؛ فأهل السنّة يقصون أصحاب المذاهب المغايرة لهم؛ لأنّ تلك الفرق المغايرة قد استخدمت أسلحة أهل السنّة نفسها في الإقصاء، ومنها من وظّف السيف في الخروج على الحاكم، وعلى أهل السنّة، كالخوارج، كما استخدمت الشيعيّة آليات أهل السنّة نفسها، مثل التسفيه والتكفير لأهل السنّة، والقدح في أعلام الصحابة، رضي الله عنهم، وهذا مثبت تاريخياً أيضاً. ولا بدّ من ممارسة نوع من النقد الذاتي لدور مدونات الفرق والملل والنحل

السنّي الشيعي، وذلك بمساعدة إيران التي تتدخل في شؤون البلاد العربية، بدعوى حماية الشيعة في معظم مناطق العالم العربي، وذلك باعتبار أنّ إيران هي الدولة المركزية للشيعة في العالم الإسلامي، وتنظر لنفسها باعتبارها حامية حمى المذهب، فتعطي لنفسها الحقّ في التدخل في المنطقة العربية.

ولا شكّ في أنّ ما يحرّك إيران تجاه المنطقة العربية هي أطماعها التاريخية في ثروات المنطقة من ناحية، والحقّد التاريخي للفرس تجاه العرب الذين حطموا إمبراطوريتهم منذ الفتح الإسلامي، وما تزال حركة الشعوية حاضرة في الذهن العربي، هذه الحركة التي عبرت عن مشكلة استعلاء العرب على الفرس في العهد الأموي، واستعلاء الفرس على العرب في العهد العباسي؛ حيث نظر الفرس إلى العرب على أنّهم أجلاف لا علم لهم ولا حضارة، ولا تاريخ، ولا مقدرة على الحكم والسياسة، وأنّ العرب حين حكموا لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك من دونهم، كلّ هذه الأمور قد جسّدت الخلاف التاريخي بين العرب والفرس، الذي تطور إلى صراع شيعي وسنّي.

# «الدولة العلمانية والمواطنة الحديثة هما السبيل لخروج العالم العربي من محن الصراع العرقي والمذهبي»

المختلفة لدى كلٍّ منهما، ومن هنا كان من الضروري تجاوز تلك الصورة السلبية من أجل بناء جسور مشتركة بينهما، وهذا ما حاوله الشيخ شلتوت، في ستينيات القرن الماضي.

المنطقة العربية باتت في حاجة إلى بناء الدولة العلمانية الحديثة، الدولة الحيادية إزاء الطوائف والأعراق والأديان، تلك الدولة التي يترسّخ فيها مفهوم المواطنة بصرف النظر عن الاختلاف في الدين أو المذهب أو العرق، هذه الدولة وحدها ستكون ركيزة الاستقرار لدى الشعوب؛ لأنّها لا تميّز سنيّاً على حساب شيوعي، ولا تميّز علويّاً على حساب سنيّ، ولا تحايي مسلماً على حساب مسيحي، ولا تميّز عراقيّاً على كردي.

لا بدّ من أن نعي أنّ الدولة العلمانية والمواطنة الحديثة هما السبيل إلى خروج العالم العربي من محن الصراع العرقي والمذهبي، ولا ينبغي النظر إلى الدولة العلمانية على أنّها لا دين لها، لكنّها حامية لكلّ الأديان، وحامية لكلّ المذاهب، وحامية لكلّ الأعراق، كما أنّها دولة لا تميّز لدين ولا تصبغ نفسها بدين أو مذهب أو

لأهل السنّة، في ترسيخ نزعة إقصاء الآخر، وتكفيره، والتحريض على استخدام العنف ضدّه، وهذه الأمور جميعاً موجودة أيضاً لدى أصحاب الفرق المغايرة للسنّة، ولهذا ينبغي إعادة النظرة في تلك الرؤية من قبل كلّ فرقة للأخرى.

هذا الميراث من الصراع بين السنّة والشيعية في العالم العربي كان له تاريخ طويل في التاريخ الإسلامي، وهو الآن الذريعة الكبرى لتدخل إيران في المنطقة، وإثارة الحروب والقتال فيها، ومساعدة الغرب في تفكيك دول المنطقة بعد حروب طويلة، تُهدر فيها ثروات البلاد العربية لصالح مصانع السلاح الأمريكية والغربية.

نحن في حاجة إلى أن يكون هناك حوار بناء بين أهل السنّة والشيعية، ولا يكون ذلك إلا بالبحث الخلاق لجذور الصراع التاريخي بينهما، والأسباب التي رسّخت لهذا الصراع، ولا شكّ في أنّ أحد أهم أسباب ترسيخ الصراع بين السنّة والشيعية؛ الصورة السيئة لدى كلّ منهما عن الآخر، تلك الصورة التي دوّنتها كتب الفرق أو الملل والنحل لديهما، ومؤلفات العقائد

عرق محدد، ومن دون ذلك سنظل ندور في حلقة مفرغة من الصراع، والكُلّ فيها خاسر، وذلك نتيجة استحالة التعايش بين الأديان والمذاهب والأعراق في المنطقة، وسيظلّ حلم الحرية والعدل والديمقراطية بعيد المنال عن المنطقة العربية، منطقة القلاقل والحروب والعنف في العالم، ما لم نستطع تأسيس المواطنة والدولة العلمانية الحديثة.



سامح اسماعيل  
كاتب مصري

# كيف سعت إيران لمد أذرعها في أفريقيا؟



غرار حزب الله اللبناني، يسبق ذلك تمهيد الطريق أمام توطين النفوذ الإيراني، بواسطة حزمة من المساعدات، تتزامن مع مجموعة من الصفقات العسكرية، والترتيبات السياسية.

وعليه، وجّهت طهران نظرها صوب المحيط الإفريقي مستغلة حالة الفراغ الأيديولوجي، بهدف بسط هيمنتها، ما يضمن تحقيق جملة من الأهداف الأساسية، تتجه نحو مد

يأتي التمدد الإيراني في القارة الأفريقية، ضمن آخر مراحل تفعيل مبدأ تصدير الثورة، الذي اعتنقته وروّجت له دولة الملاي منذ قيامها العام ١٩٧٩، مدفوعة بتطلّعات سياسية واقتصادية، تركز على منطلقات مذهبية، يُمثل نشر التشيع نقطة الانطلاق فيها، بهدف تكوين جيوب شيوعية عن طريق اختراق المجال الصوفي، ثم السعي نحو دمجها ضمن المكونات السياسية للدول ذات الصلة، بتكريس نظام المحاصصة الطائفية، على

# «وجهت طهران نظرها صوب المحيط الأفريقي مستغلة حالة الفراغ الأيديولوجي بهدف بسط هيمنتها»

الإيراني تلقى صفعه قوية منذ وصول الرئيس، غزالي عثمانى، إلى رئاسة الاتحاد القمري، حيث أعلنت، موروني، في ١٤ كانون الثاني (يناير) العام ٢٠١٦، قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران، وفي كانون الثاني (يناير) ٢٠١٧ أغلقت جميع المكاتب الإيرانية التي كانت تعمل تحت غطاء العمل الخيري، وأكّد سفير جزر القمر بالمملكة العربية السعودية، الحبيب عباس عبد الله، في تصريح لصحيفة «الشرق الأوسط»، أنّ هذه المكاتب كانت تعمل فقط على نشر المذهب الشيعي.

هذا ونجحت طهران رغم الخلاف الأيديولوجي الحاد، في توطيد علاقتها بحركة شباب المجاهدين المسلحة في الصومال، حيث مدت خطأً لتهريب العاج الذي تتاجر فيه الحركة الإرهابية، بتهريبه إلى اليمن، كمحطة أولى قبل نقله إلى الموانئ الإيرانية، كما أكدت تقارير ضلوع طهران في توريد أسلحة إلى الحركة، وتجلّي التعاون بين الطرفين بوضوح من خلال الهجوم الذي نفذته حركة شباب المجاهدين، ضد قاعدة، ماندا باي، الأمريكية في كينيا، رداً على اغتيال، قاسم سليمان، قائد فيلق القدس الإيراني.

طوق سياسي لتشكيل مجموعة دعم من دول القارة لتأييد طهران، في محاولة لمنع تفعيل العقوبات الدولية عليها، وكسر أسوار العزلة التي تعانيها على الصعيد الدولي، بالإضافة إلى تأمين موارد اليورانيوم، في ظل حاجتها إلى تطوير قدراتها النووية.

## شرق أفريقيا نقطة انطلاق المشروع الإيراني

عبر وكلائها المحليين، سعت طهران إلى ملء فراغ المساحات الأيديولوجية في منطقة شرق أفريقيا، حيث نجحت في وقت مبكر في استغلال حالة الارتباك الهوياتي في أرتيريا عقب الاستقلال، وتمكنت من الحصول على مجموعة من الامتيازات السياسية هناك، نظير دعمها للدولة حديثة الاستقلال.

كما كوّنت عدة مناطق نفوذ تابعة لها في جيبوتي وكينيا وتنزانيا، لكن منطقة النفوذ الأبرز تمثلت في جزر القمر، منذ دشن الرئيس الإيراني الأسبق، أحمد نجاد، زيارته الأولى لها العام ٢٠٠٩، حتى أنّ الرئيس القمري، عبد الله سامبي، أصبح يعرف باسم آية الله، إلا أنّ النفوذ

# «استقلت إيران مبكراً حالة الارتباك الهوياتي في أرتيريا عقب الاستقلال فحصلت على مجموعة من الامتيازات السياسية هناك»

وحروباً أهلية طاحنة؛ مثل: كوديفوار  
وغينيا، ونيجريا وجامبيا والسنغال.

ومع توجس الحكومات من فتح  
أبوابها أمام طهران، قررت الأخيرة  
وضع رهانها على حركات التمرد، حيث  
دعمت عدداً من التنظيمات الانفصالية  
المسلحة في غرب أفريقيا، وكانت نيجريا  
محطتها الأولى منذ نجحت في استقطاب  
الزعيم الديني إبراهيم الزكزاكي، والذي  
أسس الحركة الإسلامية الشيعية في  
نيجريا الموالية لإيران، والتي سرعان  
ما اصطدمت بالجيش في الشمال، ما  
تسبب في سقوط مئات الضحايا، خاصة  
بعدما قررت طهران تطوير استراتيجية  
الحركة، ودفعها نحو تأسيس كيان شيعي  
مستقل في مقاطعة كادونا الشمالية، ما  
أدى إلى اعتقال الزكزاكي، وإصدار المحكمة  
الفيدرالية العليا حكماً في تموز (يوليو)  
العام ٢٠١٩ بحظر الحركة، باعتبارها  
جماعة إرهابية غير شرعية.

## إيران الحائرة في دروب الساحل والصحراء

في منطقة الساحل والصحراء، حاولت  
إيران عن طريق مكاتبها ومؤسساتها  
الخيرية، نشر المذهب الشيعي، من خلال  
التسلل إلى الحركات الصوفية، نظراً لتشابه  
بعض الطقوس والممارسات، خاصة الطرق  
التجانية، والمريدية، وعلى الرغم من  
نجاحها النسبي في تأطير بعض المنضوين  
ضمن صفوفها، إلا أن بطء الانتشار لم  
يكن في صالحها، في ظل دخول عدة أطراف،  
مثل فرنسا وتركيا، إلى ساحة المنافسة على  
مناطق النفوذ بالمنطقة.

ومع استمرار التوتر في مناطق الصراع  
التقليدية، وانضمام بوء جديدة لها في  
منطقة الغرب، اتخذت شكل المواجهات  
العسكرية العنيفة، أصبحت المنطقة سوقاً  
رئيسياً للسلاح، استهدفته طهران، والتي  
سعت إلى تسويق السلاح الإيراني بشكل  
مكثف في الأقاليم التي تشهد اضطرابات

## «نجحت طهران رغم الخلاف الأيديولوجي الحاد بتوطيد علاقتها بحركة شباب المجاهدين المسلحة في الصومال»

## «حاولت إيران عن طريق مكاتبها ومؤسساتها الخيرية في منطقة الساحل والصحراء نشر التشيع متسللة إلى الحركات الصوفية»

ويبدو أنّ إيران أيقنت أنّها خسرت الرهان، مع تزايد خسائرها السياسية، وعدم نجاح الحركات الانفصالية في تحقيق نجاحات حاسمة على الأرض، وميل معظمها إلى استخدام أساليب إرهابية، ما أساء إلى سمعتها في القارة السمراء، ودفعها إلى انتهاج سياسات أخرى.

وعليه، حاولت طهران انتهاج استراتيجية جديدة لتحسين صورتها، فقام الرئيس، حسن روحاني، بإيفاد وزير خارجيته، جواد ظريف، إلى أقاليم القارة الأفريقية، بدأها بشرق أفريقيا في العام ٢٠١٤، وشمال أفريقيا في العام ٢٠١٥، ثم غرب أفريقيا في العام ٢٠١٦، ثم السنغال وناميبيا في العام ٢٠١٨، رغبة في معاودة تطبيع العلاقات، ومد جسور الثقة مرة أخرى، لدعم الطوق الإفريقي الذي تستهدف إيران تكوينه، وشغل كافة مساحات الفراغ السياسي الممكنة.

وكان مفتي بورندي، أبو بكر السلاوي، قد أكد تنامي النفوذ الإيراني في أنحاء القارة الأفريقية، خاصة في جمهوريتي الكونغو، ونيجيريا الاتحادية، لافتاً إلى تكوين مليشيات شيعية مسلحة تحت مسمى «جيش المهدي»، تلقت تدريبها في مدينة قم الإيرانية، واتخذت من نيجيريا موطناً لها، حيث أقامت معسكرات لتجنيد للشباب في أنحاء منطقة الساحل والصحراء، لصالح إيران.

كما تورطت إيران في دعم حركة القوات الديمقراطية لكازامانس، في صراعها مع حكومة السنغال، ما تسبب في قطع العلاقات بين طهران وداكار العام ٢٠١١، إثر ثبوت تورط الاستخبارات الإيرانية في عمليات توريد السلاح إلى حركة التمرد عبر جامبيا، ما تسبب في شن هجمات عنيفة في الجنوب، أدت إلى مقتل عدد كبير من الجنود السنغاليين، وجاء في بيان للخارجية السنغالية أنّ «السنغال هالها مقتل جنود سنغاليين برصاص إيراني».

## «حاولت طهران انتهاج استراتيجية جديدة لتحسين صورتها مع تزايد خسائرها السياسية بالنهج السابق»



عمر الرداد  
كاتب أردني

# كيف سعى حزب الله لتصدير الثورة الإيرانية خليجياً؟



وتحتفل سجلات القضاء والمحاكم في السعودية والبحرين والكويت، إضافة إلى الإمارات، بالعديد من القضايا، التي ما يزال بعضها منظوراً فيه، حول نشاطات غير مشروعة، تستهدف تقويض الأمن الوطني للدول المذكورة، من خلال ضبط «خلايا» تمّ تشكيلها من قبل مواطنين وعناصر إيرانيين، وعناصر تابعين لحزب الله اللبناني، تحت مسمّيات مختلفة: «حزب الله/ الحجاز»، و«حزب الله/ البحرين»،

يعد حزب الله اللبناني أبرز وكلاء إيران لاختراق دول مجلس التعاون الخليجي، من خلال استثمار لبنانيين يعملون في دول الخليج، إضافة إلى استثمار أبناء الأقلية الشيعية العربية في دول مجلس التعاون، والمنتشرين في معظم دول الخليج بنسب متفاوتة، تتركز غالبيتها في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية والبحرين، إضافة إلى نسب أقلّ في الكويت والإمارات وقطر.

## «ازداد الاستهداف الإيراني لدول الخليج بعد التطورات التي شهدتها العراق منذ ٢٠٠٣ إضافة للتحويلات باليمن وما يجري بسوريا ولبنان»

التنظيمات «الشيعة» المعارضة في دول مجلس التعاون الخليجي، دفعت إيران لإيجاد وسيط «طرف ثالث» يقوم بتلك المهمة، فكان حزب الله اللبناني الأكثر وفاءً للقيادة الإيرانية وولاية الفقيه، وهو ما أعلنه زعيم الحزب، حسن نصر الله، مراراً، وبأن موازنة الحزب كلها تأتي من إيران؛ حيث قام الحزب بهذه المهمة في علاقاته بالتنظيمات الشيعية الخليجية، ارتباطاً بـ «سهولة» الحركة بالنسبة إلى كوادر وعناصر تلك التنظيمات من وإلى لبنان، وفتح مكاتب تنسيق لتلك التنظيمات في الضاحية الجنوبية، تحت حماية حزب الله، وتوفير معسكرات التدريب والأسلحة.

ومن خلال متابعة نتائج تحقيقات معلنة في السعودية والبحرين والكويت، فإن دور حزب الله اللبناني في تنفيذ إستراتيجية تصدير الثورة الإيرانية إلى دول مجلس التعاون، يتخذ عدة أشكال أبرزها:

أولاً: بناء علاقات مع المراجع الدينية الشيعية العربية، والترتيب لعقد مؤتمرات لها في العراق، النجف وكربلاء، ومؤتمرات في لبنان، تستثمر المناسبات الدينية للطائفة الشيعية، وتؤكد على ضمان ولاء

ويُنبت تحقيقات مع عناصر تلك الخلايا وجود شبكات معقدة، قاسمها المشترك تخطيط وتمويل من الحرس الثوري الإيراني، وتنفيذ ودعم لوجستي ومالي من حزب الله اللبناني، وتدريبات عسكرية في معسكرات إيران والعراق، ولدى حزب الله في لبنان، واستغلال لظروف العراق بعد عام ٢٠٠٣، بوصفه ساحة تدريب، واستثمار زيارات الأماكن الدينية المقدسة في النجف وكربلاء، إضافة إلى المشهد وقم الإيرانيتين، في عقد الاجتماعات ووضع الخطط التي تستهدف دول مجلس التعاون.

ورغم أن دول الخليج تقع في إطار الاستهداف الإيراني، إلا أن هذا الاستهداف يتفاوت في حجمه وسعة انتشاره وتأثيره من دولة لأخرى، والذي ازداد بعد التطورات التي شهدتها العراق منذ عام ٢٠٠٣، إضافة إلى التحويلات في اليمن، وما يجري في سوريا ولبنان، وإعلان القيادة الإيرانية أنها تسيطر على أربع عواصم عربية، هي: بغداد، دمشق، بيروت، وصنعاء.

إن المخاوف الأمنية من انكشاف العلاقات المباشرة بين الحرس الثوري الإيراني والأجهزة الأمنية الإيرانية مع

# «أوجدت إيران حزب الله اللبناني كوسيط بينها وبين التنظيمات الشيعية المعارضة في دول مجلس التعاون الخليجي»

داخل العراق، وفي لبنان؛ حيث يتم استقطاب العناصر الخليجية وإرسالها إلى لبنان والعراق، ومن هناك إلى إيران لتلقي التدريب.

ثالثاً: يدير حزب الله اللبناني، وبأموال إيرانية، شبكة إعلامية وثقافية واسعة، من خلال العديد من المواقع الإخبارية والصحف، إضافة إلى فضائته المعروفة «المنار»، والتي تتعاون بشكل وثيق مع الفضائيات الإيرانية الرسمية الناطقة بالعربية، مثل: «العالم»، و«الميادين»، والعديد من المحطات الفضائية «الشيعية» العراقية، والتي تكاد تبتّ مضموناً إعلامياً واحداً، يستهدف بتّ رسائل حول قوة إيران وانتصاراتها، ولا تخلو تلك المضامين من إثارة الصراعات المذهبية، وإعادة إنتاج مفردات وقواميس المظلومية التاريخية، والتبشير بقرب «الفرج» والنصر.

وقد وقع الجهد الإعلامي لحزب الله، خاصة من خلال محطة «المنار»، في تناقضات مكشوفة؛ إذ تمّ اعتبار ما جرى في البحرين عام ٢٠١١ «ثورة»، فيما تمّ اعتبار الثورة السورية، خاصة مع انطلاقة

تلك المراجع للولي الفقيه الإيراني، علي خامنئي، وتعمل على الحيلولة دون ظهور أية مرجعية شيعية عربية معارضة لمبدأ ولاية الفقيه «الإيرانية»، وقد نجحت جهود حزب الله اللبناني، بالتعاون مع القيادة الإيرانية، في عزل العديد من المراجع الشيعية العربية، خاصة الرافضين لولاية الفقيه، المختلف عليها في أوساط المراجع الشيعية؛ من خلال تشكيل مجالس دينية ترعى أبناء الطائفة الشيعية في كلّ دولة، تسمى «المجلس العلمائي»؛ وهي مجالس بمهمات سرية تنفّذ أجندة إيرانية، وظهرها رعاية أبناء الطائفة الشيعية في كلّ دولة، بما في ذلك الإفتاء في المعاملات والتجارة، وجمع أموال «الخمسة»، وتأمينها للقيادة الإيرانية.

ثانياً: شكّل الحزب قاعدة إيرانية متقدمة في توفير الدعم اللوجستي للأحزاب والتنظيمات الشيعية والسنيّة الموالية لإيران، من خلال توفير ملاذات آمنة ومعسكرات تدريب لها في لبنان، وقد أسهمت تطورات العراق، بعد عام ٢٠٠٣، وإنشاء الحشد الشعبي العراقي، في توسيع أدوار حزب الله اللبناني، وتبادل عمليات التدريب في قواعد الحشد الشعبي العراقي،

مراحلها الأولى (قبل عسكريتها)، بأنّها «تمرّد»، وتتعامل «المنار»، حتّى اليوم، مع تطورات السودان والجزائر، بما يخدم المشروع الإيراني.

رابعاً: رغم اتخاذ القيادة الإيرانية، ومعها حزب الله، موقفاً معادياً للمنظمات الحقوقية الدولية، المعنية بالحرية والديمقراطية، «والتي تحفل بإدانات واسعة ومتكررة للقيادة الإيرانية، ومدى التزامها بمنظومات حقوق الإنسان»، إلا أنّ الحزب عمل على تمويل العديد من تلك الهيئات في دول الخليج، خاصة في مملكة البحرين، وقام عبر مؤسسات بتقديم تدريب للعاملين فيها على كيفية إعداد التقارير الدورية حول حالة حقوق الإنسان في الدول المستهدفة، وبتّ تقاريرها؛ حيث تكون مصدراً لتقارير المنظمات الدولية.